مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلام على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد: لايخفى أننا لازلنا بحاجة الى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناء فعليا حقيقيا ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ما هو إلا اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي.

لذا ومساهمة في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول الى ذلك وقد أخذت هذه البرامج طريقها الى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الانترنت العالمية صوتا ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابيا الى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها ككراس.

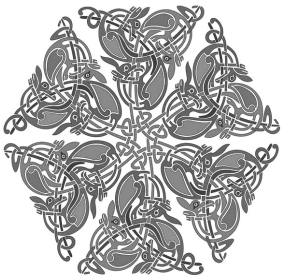

الحلقة الأولى

من

سبيل الزاهدين

الصلاة على محمد وآله

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق:

«**اللهم صل على محمد وآله، وبلِّغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانتهِ بنيّتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال**».

هذا الدعاء المعروف بدعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام مروي بطرق عدة، منها رواية الصحيفة السجادية وهي في النظر أصحّ الطرق، فمن رواة الصحيفة ومنها هذا الدعاء الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام رواها عن جده زين العابدين عليه السلام.

ويشتمل على مجموعة إرشادات نفسية وإجتماعية وسياسية واقتصادية وتربوية وغيرها، ومن ثم فهو جدير بالحفظ وبالتأمل،وعند البدء بالفقرات الأولى من الدعاء المبارك ومنه :«**الصلاة على محمد وآله**» يفتتح الإمام دعاءه بالصلاة على محمد وآله، بل يفتتح كل فقرة من فقرات الدعاء وتبلغ عشرين فقرة بالصلاة على محمد وآله.

فمن المعروف أن من أسباب استجابة الدعاء أن يُفتتح بالصلاة على محمد وآله، ووردت بذلك روايات متواترة بين مختلف فرق المسلمين، فهذه الروايات ليست خاصة بنا نحن الشيعة، بل رواها غيرنا أيضاً، فعن النبي ﷺ أنه قال: «**كل دعاء محجوب عن الله تعالى حتى يصلى على محمد وأهل بيته**»، وهذه حقيقة واقعية، كما أن هناك أموراً واقعية في هذا الكون نلمسها ونحسّ بها، بل هناك أمور واقعية نعرفها من دون لمس كالجاذبية مثلاً، فهي أمر واقعي في الكون لا نحسها بالحواس ولكننا ندركها إدراكاً، فما المانع في أن يكون الله سبحانه وتعالى ربط بين إجابة الدعاء وبين الصلاة على أهل البيت عليهم السلام؟.

والمظهِر لذلك ومقام إثباته الروايات المصرّحة أن من أسباب إجابة الله تعالى للدعاء أن يُفتتح بالصلاة على محمد وآله،إذن هذا تعليم لنا، من الإمام عليه السلام، بل هو في الوقت نفسه وقبل أن يكون تعليماً عمل من الإمام بالواقع الذي يعلمه ويعرفه قبل أن نعرفه نحن، وبواسطته وعن طريق أهل البيت عليهم السلام عرفنا وتعلّمنا نحن هذه الحقائق.

الاستعانة بالله :

بعد الصلاة على محمد وآله ينتقل الإمام عليه السلام إلى مقام سؤال حوائجه من الله تعالى ويبدؤها بهذه الكلمات الأربع: «**بلّغ بإيماني أكمل الإيمان**»

أي أنت يا ربِّ صعِّدني، فإني من دون عونك لا أستطيع الصعود والبلوغ بإيماني أكمل الإيمان، لأني مثقل بالذنوب، إن مثلنا في هذا الطريق مثل الإنسان الذي يحمل أثقالاً كثيرة أو بدناً ثقيل الوزن، فهل يستطيع تسلّق الجبال أو القفز والوثوب أم تراه يهوي ويتحطم وسط الطريق؟.

إننا مثقلون بالشهوات وهذه الشهوات أوجدت فينا أطناناً من الثقل، شئنا ذلك أم أبينا، والتفتنا إلى ذلك أم لم نلتفت، فقد يتأمل الإنسان فيلتفت إلى ثقل الشهوات، وقد لا يتأمل فلا يلتفت للأمر أصلاً، بيد أن الله سبحانه للمصالح التي هو ارتآها وأرادها أودع فينا هذه الشهوات وهي تثقلنا إن لم نستعن بالله تعالى، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها.

فمهما كنت ذكياً وواعياً ونشطاً ومستوعباً لأطرافك وما يحيط بك ولحدود الأمور، فماذا عساك أن تصنع بثقل الشهوات، وهو ثقل واقعي ومانع دون رقيّ الإنسان وصعوده إن لم يعنْه ربّه، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾(١)، ولهذا يعلّمنا الإمام عليه السلام في هذا الدعاء

(١) الفرقان ٧٧

أن نطلب من الله تعالى أن يأخذ هو بأيدينا. فيقول عليه السلام: «**اللهم بلِّغ بإيماني أكمل الإيمان**».

نكتة أدبية

هنا نكتة مهمة تتطلب المزيد من الإلتفات ألا وهي أن لا يغفل الإنسان عن أن يصوغ الدعاء في لباس ووعاء جميل، فإن الإمام عليه السلام مع أنه يتكلم مع الله سبحانه وتعالى نراه لا يغفل عن جمال العبارة، بل ثمة في كلمات الإمام بحر من النكات الأدبية لسنا الآن بصدد الخوض فيها، ولكنا نشير إلى نقطة واحدة وهي التنوع في استعمال الألفاظ، فهو عليه السلام لم يقل مثلاً: «**وبلِّغ بإيماني أكمل الإيمان وبيقيني أكمل اليقين وبنيتي إلى أكمل النيات وبعملي إلى أكمل الأعمال**» بل أبدل الفعل في كلّ جملة كما أبدل صيغة التعبير عن الكمال، فاستعمل عليه السلام من الأفعال «**بلّغ، اجعل، انته**»، ومن صيغ التفضيل «**أكمل، وأفضل، وأحسن**» ولم يقتصر على «**بلّغ**» و«**أكمل**» في كلّ الجمل الأربع، مع أنه كان بإمكانه ذلك.

فبالإضافة إلى أنّ هناك واقعيات وراء هذه التعابير والألفاظ، فإن التغيير بنفسه تجميل للعبارة، وكما في الحديث: «**إن الله جميل ويحب الجمال**» وهو سبحانه رزق البشر الجمال وحبّ الجمال، بل أودع الله تعالى في كل شيء الجمال، كما في بعض الروايات.

فمع أن الإمام عليه السلام في حالة دعاء وتضرّع ومناجاة مع الله تعالى ومع كونه في حالة سؤال وطلب من الربّ الجليل، وليس في حالة تكلّم معنا، نراه لم يغفل هذا الجانب، بل أولاه الأهمية اللازمة، فهو يغيّر التعبير ويقلّل من التكرار إلاّ لملاحظة، فلا كرَّر كلمة «**بلّغ**» ولا كرر كلمة «**الكمال**» بل استعمل المترادفات مع ملاحظة الفروق الدقيقة بينها، الأمر الذي يدلّ على أن المطلوب من الإنسان الداعي أن يصبّ دعاءه في قوالب جميلة ثم يسأله من الله تعالى.

مع أن الإمام عليه السلام منصرف بكلّه إلى الله سبحانه وإلى معاني ما يقول، لم يغفل عن هذا الجانب أبداً، لأن الله يحبّ هذا الجانب، فهو تعالى يحبّ الجمال، وهذا نوع من الجمال.

الإنسان بحاجة إلى تسديد الله دائماً:

مهما بلغ الإنسان من المراتب العالية فهو بحاجة إلى عون الله تعالى وتسديده، ولا يستطيع أن يبلغ الكمال وحده، فحتى من توفّر على ملكة العدالة بأحوط معانيها أي خطى في مراتب القدس، واجتنب في مقام العمل كلَّ المحرمات وأتى بكلّ الواجبات عليه وكان عنده فوق ذلك كله ورع كامل، ليس قادراً على النهوض والارتقاء من دون أن يعينه الله على ذلك ويأخذ بيده، لأن الشهوات تثقله، وليس هو بمعزل عنها

مادام بشراً.

قد ينجح المرء في كبح بعض شهواته، كالمرتاضين الذين يحقّقون ذلك ببعض الممارسات، ولكن ماذا يفعل الإنسان والشهوات كثيرة لا تحصى، إن استطاع أن يخفف من بعضها بالترويض والتمرين فإن هذا وحده لا يكون كفيلاً بكبح الشهوات الأُخر التي تثقله وتشّده إلى الأرض، وإليك مثالاً واحداً على تنوّع الشهوات وشدة ابتلاء الإنسان بها:جاء في بعض الكتب الفقهية أن الرياء قد يكون بترك الرياء، ولتقريب المثال أن الشخص قد يطيل ركوعه وسجوده ويحسن القراءة ويتظاهر بالخشوع بسبب وجود شخص آخر ملتفت إليه، وهذا هو الرياء المتعارف، ولكنه قد يعمد إلى خلاف ذلك إذا كان الناظر برأيه ذكياً يعرِف من حاله لو أطال وحسّن في ظاهر صلاته أنها ليست صلاته العادية وأنه يرائي فيها، فيأتي بصلاة عادية لكي يقول عنه الناظر إنه غير مراءٍ، وهذا هو المقصود من قولهم إنه رياء أيضاً وإن الرياء قد يكون في ترك الرياء، أي في ترك التظاهر بالخشوع وما أشبه.

أرأيت كيف أن الشهوات تحيط بنا من كل جانب؟والغريب أن أكثر الناس يفهمون هذه الأمور جيداً وإن لم يستطيعوا التعبير عنها بشكل جيد وكامل.

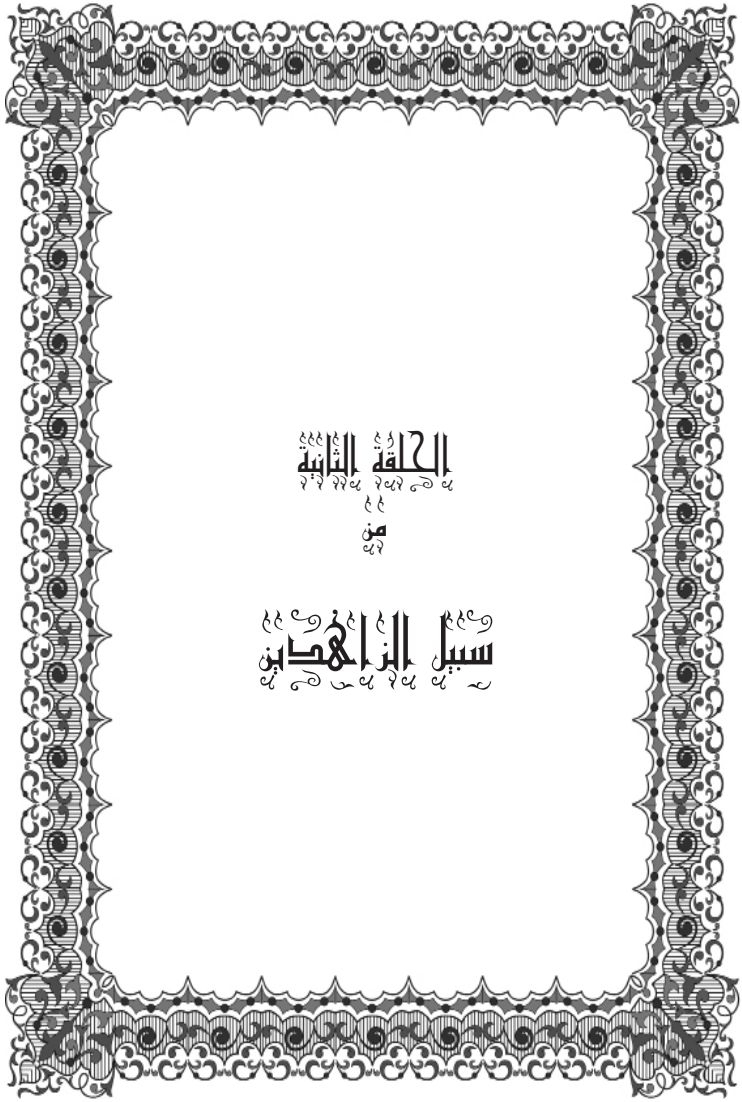

الحلقة الثانية

من

سبيل الزاهدين

الإيمان

نلاحظ أن الإمام عليه السلام لم يستعمل كلمة «**أكمل**» أو «**أبلغ**» بل قال«**وبلِّغ**»، ومن الواضح أن هذه الصيغة يستفاد منها التدرج، مما يدلّ على أن الأمر لا يحصل دفعة واحدة كالقفز مثلاً بل شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً، وإن كانت مراتب التدريج تختلف من شخص لآخر، فأهل جهنم لم يريدوا لأنفسهم الشقاء ولم يصبحوا كذلك دفعة واحدة بل انحدروا إليها قليلاً، وكما قيل: «الشرّ عادة والخير عادة».

أكمل الإيمان:

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا صعدت روح المؤمن إلى السماء تعجبت الملائكة وقالت: عجباً كيف نجا من دار فسد فيها خيارنا؟**».وهذا معناه أن المؤمن عملة نادرة، فالفرد يحاول أن يصبح إنساناً جيداً ولكنه لا يستطيع، وليس ذلك لضعفٍ في العطاء من الله تعالى، بل لتقصير من جانب الإنسان ، فإن الشهوات تبلغ من الكثرة والقوة ما تتطلب جهداً إضافياً للسيطرة عليها، يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق:

«**اللهم صل على محمد وآله، وبلِّغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانتهِ بنيّتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال**».

وعن طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى كمال ونيل المعنويات والتغلب على الشهوات يتطلبان دائماً قوة أكثر وعزماً أكبر من المطلوب لنيل الشهوات، ولذلك ترى الناس عادة ما يبلغون شهواتهم أكثر مما يبلغون المعنويات، فلا خلاف في صعوبة المعنويات ولا خلاف أنه كلما أراد الإنسان أن يحتلّ مساحة أوسع من المعنويات كما هو الحال في الماديات كلّفه جهداً أكبر، فمعلوم أن كلفة شراء بيت سعته ألف متر مثلاً، أكثر من شراء بيت لا يسع أكثر من مائة متر، ناهيك عن حاجته إلى فرش أكثر، وكون تنظيفه يستغرق وقتاً أطول، إضافة إلى مستلزمات أكثر في كلّ المجالات مثل التنوير والتدفئة والتبريد، وهكذا الحال في المعنويات حيث إن الماديات تثقل الإنسان، وتجرّه نحوها كالمغناطيس الذي يجذب نحوه الحديد.

وإذا عرفنا أنّ الشهوات والماديات المحيطة بالإنسان كثيرة أدركنا كثرة المغريات التي تجذب الإنسان وتحول دون ارتقائه سلّم المعنويات، ولهذا نرى الناس ﴿**يَوْمَئِذٍ**﴾ أي يوم القيامة ﴿**يَتَفَرَّقُونَ**﴾، أو كما عبرت

عن هذا الاختلاف آية أخرى في قوله تعالى:﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(١).

يروى أن المؤمنين ينظر بعضهم إلى بعض يوم القيامة فيقول بعضهم إن فلاناً كان قريباً مني ومن مجلسي في الدنيا ولكني الآن أراه كالنجم بعيداً عني، فيقال له: إن هذا خلص في إيمانه أكثر منك فحصل على هذا الموقع، إنه لربح عظيم أن يبلّغ الله بإيماننا أكمل الإيمان ولو لساعة قبل الموت مهما طال بنا العمر، وما أفدح خسارتنا إن لم نحصل على ذلك.

وكشاهد قصة الميرداماد:

كانت بنت الأمير في إحدى المقاطعات الإيرانية عائدة إلى بيتها في وقت متأخر نسبياً في ليلة شتائية باردة، عندها صادفت في طريقها مدرسة دينية، ففكّرت أن تلجأ إليها حتى الصباح، طلباً للأمان فربما ضلّت الطريق أو تفرقت عنها صاحباتها وربما كانت مضطربة بسبب أوضاع خاصة ولم يكن في المدرسة في تلك الليلة إلا طالب علم أعزب ينام في إحدى الغرف وحيداً فريداً.

(١) الأنفال ٤

طرقت الفتاة الباب وفوجئ الطالب بشابّة تطلب اللجوء حتى الصباح عنده وهي مطمئنة إليه لكونه طالباً في مدرسة دينية.

وهـذا يكشف عن عظم مسؤولية علماء الدين وطلبة العلوم الدينية، لأن الناس يضعون فيهم كامل ثقتهم ولا يحتملون صدور الخطيئة منهم، أدخلها الطالب حجرته الوحيدة ونامت آمنة مطمئنة حتى الصباح، ثم غادرت إلى بيت أبيها الأمير، وعندما سألها عن مكان مبيتها البارحة حكت له القصة.

فشكّ الأمير وأرسل خلف طالب العلم ليحقق معه، وتبيّن له بعد ذلك أن هذا الطالب منعه تقواه من أن يتكلم معها فضلاً عن أن يدنو منها أو يقوم بلمسها، وعندما أراد الأمير أن يشكر الطالب اكتشف أن إحدى أصابعه محروقة حديثاً فسأله عن السبب،فقال: تعلم أني شاب وأعزب واتفق أن نامت في غرفتي ابنتك وهي امرأة شابة ولم يكن معنا أحد غيرنا، فأخذ الشيطان يوسوس لي، فخفت أن أفشل في مقاومته، فكانت في غرفتي شعلة نفطية، فبدأت أقرّب إصبعي من النار كلّما وسوس لي الشيطان فصرتُ أسكّن ألم الشهوة بألم الاحتراق وبقيت هكذا إلى الصباح حتى نجّاني الله من الوقوع في فخّ الشيطان والنفس

الأمارة بالسوء«والجرح يُسكنه الذي هو آلم»، وعندما سمعت الفتاة ذلك قالت: هو كذلك، لأني كنت أشمّ رائحة شواء، ولم أكن أعلم أن هذا المسكين إنما يشوي إصبعه، وقيل: إن الأمير زوّجها إياه بعد ذلك لما رأى من جلده وتقواه، وإنه أحد علمائنا الأعلام وهو المعروف بـ «ميرداماد» أي صهر الأمير.

الشيخ الأنصاري والشيخ خنفر رحمهما الله:

هذه القصة تعود إلى أيام الشيخ الأنصاري﵀ أي إلى ما قبل زهاء مائة وأربعين سنة، وكان الشيخ الأنصاري﵀ طالب علم ثم أصبح مدرساً فمرجعاً عاماً للتقليد يرجع إليه الملايين من المسلمين، وعندما مات لم تزد تركته على السبعين تومناً مع أنه كان عنده زوجة وأطفال وكانت أمه تعيش معه، كما كانت تأتيه الضيوف، فلم يكن يوم مات طالب علم عادي بل كان مرجعاً تجبى إليه الأموال الكثيرة جداً، وكانت عملة الأموال يومذاك الذهب والفضة وكانت تجبى له بالأكياس الكبيرة، وكان هناك عالم اسمه الشيخ محسن خنفر وكان أكبر سناً من الشيخ الأنصاري وإن كان أقلّ منه علماً، فمرض أخريات أيام حياته وبقي في البيت، وأُخبر الشيخ الأنصاري بأن الشيخ خنفر محتاج

إلى المال فأرسل له بكيس من الذهب لكي يأخذ حاجته منه، ولكن الشيخ خنفر لم يأخذ أكثر من دينار وثلاثة أرباع الدينار أي مثقالاً من الذهب وثلاثة أرباع المثقال، وأرجع الباقي، وقال: أبلغوا شكري للشيخ مرتضى وأخبروه أنني أخذت كفايتي، وتوفي الشيخ خنفر بعد مدة وجيزة وتبيّن أن ما أخذه كان بمقدار حاجته لما تبقّى من حياته.

فإذا كانت كل تلك الأموال الضخمة ترد الشيخ الأنصاري ولكنه لم يترك أكثر من سبعين تومناً، فإن هذا يعني أن الشيخ قد ارتقى درجات من أكمل الإيمان، وهذا يتطلب عملاً كثيراً وتوكلاً على الله تعالى، لأن المغريات والشهوات ليست بالقليلة، فهناك شهوة المال والجمع وشهوة الرئاسة والحكم وشهوة التفوق والظهور، وشهوة الكلام والتظاهر بالعلم.

نعم، قد يجب على الإنسان أحياناً أن يُظهر علمه ولا يجوز له السكوت كما «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سُلب نور الإيمان» ولا كلام في هذا، ولكن ما أكثر الحالات التي ليس هناك وجوب ولكن الفرد لا يستطيع أن يملك نفسه عن التحدث رغبة في إظهار ما يملك من معلومات.

إذن فلنتوجه إلى الله ونطلب منه أن يبلّغ بإيماننا أكمل الإيمان، ولنا في العلماء والأتقياء خير عبرة، فإنهم لم يبلغوا تلك المرتبة الرفيعة دفعة واحدة ومنذ اليوم الأول من حياتهم بل طلبوا أن يبلّغ الله بإيمانهم أكمل الإيمان، وأعانهم الله تعالى وأخذ بيدهم، وهو سبحانه باسط اليدين بالعطية.

فإذا كان الله لا يمنعنا عطاءه، وإذا كان خلقنا ليرحمنا، لا ليمنعنا، فلماذا لا نسعى ونهتمّ قليلاً ثم نضاعف سعينا لكي يشملنا فيض الله تعالى ونكون من الذين بلّغ بإيمانهم أكمل الإيمان، وأول شروط الإيمان الكامل هو الالتزام بالواجبات والكفُّ عن المحرمات، وهناك درجات عليا فوق هذه الدرجة.

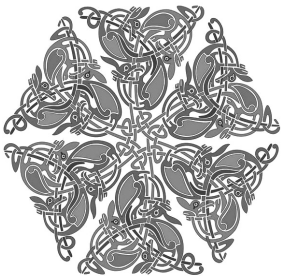

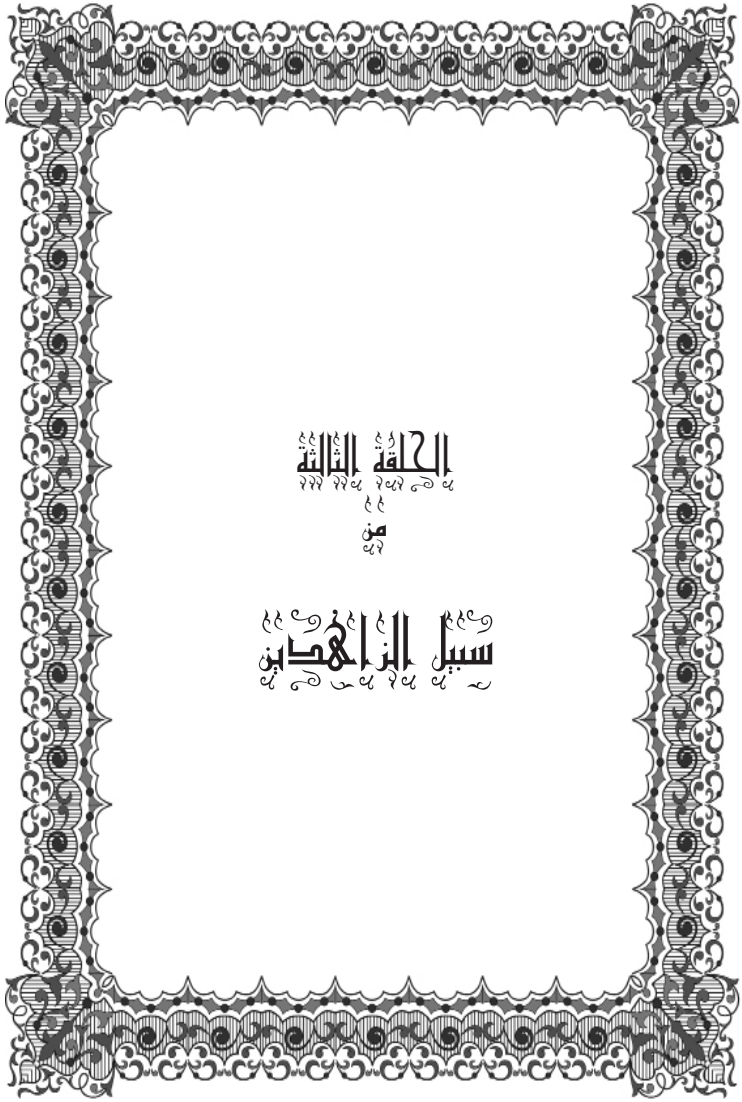

الحلقة الثالثة

من

سبيل الزاهدين

تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق:

«**اللهم صل على محمد وآله، وبلِّغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين، وانتهِ بنيّتي إلى أحسن النيات، وبعملي إلى أحسن الأعمال**».

سنتحدث عن تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام وتعليمها ونبتدأ الحديث بشاهد من واقع الحياة فقد كان عبد السلام بن صالح الهروي المعروف بأبي الصلت، خادم الإمام الرضا عليه السلام ومن الرواة الثقات حتى لقد وثّقه عامة رجال الشيعة، يقول «أبو الصلت»: سألت الإمام الرضا عليه السلام كيف يحيي أمركم؟ فقال عليه السلام: «**يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس**»، وهذا الكلام موجّه بالدرجة الأساس لنا نحن أهل العلم، وإذا كان يقول علماء اللغة والأدب باتفاق إن الجمع المضاف يفيد العموم فيكون المعنى: «**يتعلم كل علومنا**».

فإذا قلنا إن هذا واجب كفائي، ولا يوجد اليوم من يعلم كلّ علوم أهل البيت عليهم السلام، فهذا يعني أن كل من تتوفر فيه الشروط والاستطاعة

فعليه واجب عيني بتعلّم كل علوم أهل البيت عليهم السلام ليعلّمها الناس، فإذا تعلّمنا نحن أهل العلم كل علوم أهل البيت وعلّمناها الناس اهتدى الناس بأهل البيت إلى أهل البيت عليهم السلام.

يُذكر أن شريف العلماء أستاذ الشيخ الأنصاري قد أدرك السيد مهدي بحر العلوم رحمه الله وكان يحضر درسه أكثر من ألف طالب، لمناقشة السيد مهدي بحر العلوم مع بعض علماء اليهود والنصارى وخضوعهم له، فإذا لم يكن عند السيد بحر العلوم علوم أهل البيت عليهم السلام فهل كان يتمكن أن يناقش علماء اليهود والنصارى ويفحمهم،فلنقتدِ بأهل البيت عليهم السلام ولنقتفِ آثارهم ولنعمل بالواجبات وأهمّها تعلّم علوم أهل البيت وتعليمها للناس، عسى الله تعالى أن يأخذ بأيدينا ببركة أهل البيت إلى درجات الكمال.

ومن يكن قريباً من النور فإما أن يستفيد منه أو يحترق إن لم يكن أهلاً للاستفادة، ومن يكن قريباً من البحر الفرات فإما أن ينهل من درره وعطاياه ويرتوي من عذب مائه وإما أن يغرق فيه ويكون من الهالكين.

وهكذا الحال مع من كانوا قريبين من أهل البيت عليهم السلام، حيث

نرى بعضهم تاه في ضلالته وتردّى في جهالته مع أنه كان قريباً من المعصوم عليه السلام، وها نحن اليوم نقرأ أدعيتهم عليهم السلام مع أننا لم نر أشخاصهم، نسأل الله تعالى التوفيق للعمل بها، وهنيئاً لمن وُفّقوا في هذا السبيل، أما من لم يطّلع على علومهم وأدعيتهم ولم ينهل من معينهم فليس بمستوى أن يوفّق إلى أي خير إلا أن يتعرف عليهم ويعرف قدرهم وعظمتهم التي يقصر البيان عن وصفها، وما تشبيهنا لهم بالبحر أو النور إلا من باب المجاز، فما النور والبحر إلى جانب أهل البيت عليهم السلام.

وهذه القطعة الرباعية «من دعاء مكارم الأخلاق» هي مفتاح كلّ خير، فالإمام عليه السلام يطلب من الله تعالى أكمل الإيمان، ومن اليقين أفضله، ومن النيات والأعمال أحسنها، ولاشك أن هذه الخصال تصنع أبا ذر وسلمان وحبيب بن مظاهر والسيد بحر العلوم والشيخ المفيد والمقدس الأردبيلي وأمثالهم.

ولعل في هذا الترتيب «الإيمان ثم اليقين ثم النية الحسنة ثم العمل الحسن» نوعاً من التسبيب الخارجي أي الواقعي، فبنسبة درجات الإيمان يكون المجال مفتوحاً أمام النسبة المناسبة من اليقين، وبنسبة درجات اليقين يكون المجال مفتوحاً أمام النسبة المناسبة من النية الحسنة، وبنسبة درجات النية الحسنة يكون المجال مفتوحاً للنسبة المناسبة من العمل

الحسن،ومن دون اكتمال هذه الحلقات الأربعة لا يتحقق التكامل، فالإيمان وحده غير كاف بل لابد له من اليقين، واليقين وحده غير مجد من دون النية الحسنة، والنية الحسنة لا معنى لها إن لم تترجم إلى عمل حسن، أجل إن الإيمان بلا يقين يعد نقصاً، والإيمان واليقين مالم يقترنا بالنية الحسنة فهما ناقصان، وكذلك تبقى دائرة الإيمان واليقين والنية الحسنة ناقصةً ما لم تكتمل بالعمل الصالح.

فهذه العناصر الأربعة تكمل بعضها بعضاً ويدعو بعضها لبعض، فالإيمان يدعو إلى اليقين، واليقين يدعو إلى النية الحسنة، والنية الحسنة تدعو إلى العمل الحسن، ولكن حيث أن هناك جوانب ومؤثرات ضخمة وقوية تثقل من حركة الإنسان نحو التكامل وتبطئه، اقتضى الأمر أن يُعمل الإنسان كل قدراته وطاقاته من أجل أن يجمع بين هذه العناصر ويجمعها كلها في حوزته، ومن هنا نفهم موقف مسلم بن عقيل رضي الله عنه عندما عُرض عليه أن يفتك بابن زياد، فقال: «**الإيمان قيد الفتك**».

وأعلى منه قول الحق سبحانه:﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾(١)، وهو ما يعني أن بعض الكافرين عندهم يقين قد يفوق يقين بعض المؤمنين، وإن كانوا يجحدونه، ولكن لا عمل لهم، ومن ثم

(١) النمل ١٤

فلا قيمة ليقينهم ولا يقول أحد أن اليقين المشار إليه في الآية الكريمة مجاز، بل هي كلمة مستعملة في المعنى الحقيقي لليقين، ولكنه يقين أبتر لا يتبعه نية ولا عمل، ولذلك يؤول إلى الجحود والكفر وقد ورد في الحديث الشريف: «**عليكم بدين العجائز**» أي «**يقين العجائز**».

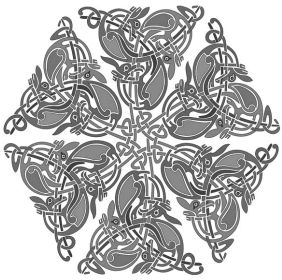

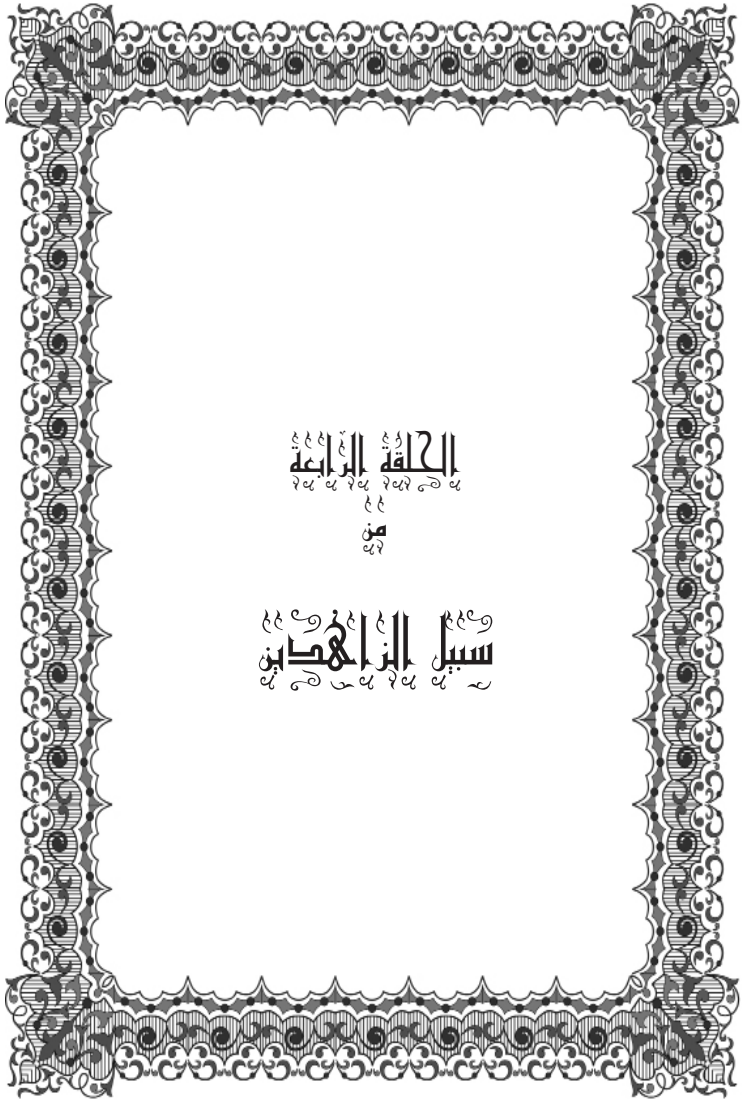
الحلقة الرابعة
من
سبيل الزاهدين

أحسن الأعمال

عن الحسين بن أبي العلا قال: خرجنا إلى مكة نيف وعشرون رجلاً فكنت أذبح لهم في كل منزل شاة فلما أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال لي: «**يا حسين وتذلّ المؤمنين؟ قلت: أعوذ بالله من ذلك، فقال: بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزل شاة؟ قلت: ما أردت إلا الله، فقال: أما كنت ترى أن فيهم من يحب أن يفعل فعالك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه، قلت: أستغفر الله ولا أعود**».

يقول الحسين بن أبي العلا: خرجنا من مكة نيف وعشرون رجلاً» والنيف بين الثلاثة والعشرة، «فكنت أذبح لهم في كل منزل شاة» أي إنه كان يذبح لهؤلاء النيف والعشرين أينما نزلوا شاة واحدة يطعمونها.

وليس المقصود أنه كان يتبرع بذبحها ونحرها أو يقوم بدور القصاب، كلا، بل يعني أنه كان يتبرع لهم بشاة من أمواله في كل منزل ينزلونه في طريق سفرهم إلى بيت الله الحرام، ولم يذكر عدد المنازل فربما بلغت عشراً أو عشرين أو أقل أو أكثر.

وهذا العمل كما هو واضح لا إشكال فيه ولا شبهة بل لو لا بقية

الرواية لقلنا إنه من أفضل الأعمال وأحسنها، فما هو الأفضل من إطعام المؤمنين وهم في طريق الحج إلى بيت الله الحرام.

إذا كان الإطعام في حد ذاته عملاً مستحباً – كما هو كذلك – فكيف بإطعام المؤمنين؟ وكيف إذا كانوا في طاعة الله تعالى؟

ولكن الإمام عليه السلام عندما التقاه عاتبه ووبخه، يقول الحسين بن أبي العلاء: «**فلما أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام قال لي: يا حسين وتذلّ المؤمنين؟**» أي هل بلغ بك الأمر أن تذلّ المؤمنين؟ وهنا تأثر الحسين بن أبي العلاء، ومن حقه أن يتأثر، لأنه لم يصدر منه إزاء المؤمنين إلا العمل الحسن والإطعام على نفقته، والإمام عليه السلام يقول له: «**أو تذلّ المؤمنين؟**» ولذلك قال: «أعوذ بالله من ذلك» أي أعوذ بالله من أن أذل المؤمنين، وكيف كان ذاك؟ فقال له الإمام عليه السلام: «**بلغني أنك كنت تذبح لهم**» أي للمؤمنين «في كل منزل» تنزلونه «شاة» وتطعمهم على نفقتك الخاصة.

إن الحسين بن أبي العلاء لم يكن إنساناً عادياً بل هو من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وكان يريد بعمله وجه الله تعالى، كما يظهر في جوابه للإمام عليه السلام «قلت ما أردت إلا الله»وعدم إنكار الإمام

ذلك، وإن الأئمةﷺ لا يذكرون النصائح الحساسة لعامة الناس ومن لا يتحملونها، وهذا يفرض علينا أن ننتبه أكثر من غيرنا ونتأمل في كلمات المعصومينﷺ.

لقد أراد الإمامﷺ في هذه النصيحة أن يلفت نظر الحسين بن أبي العلاء إلى أن عليه أن يتحرى «**أحسن الأعمال**» وأن بلوغه يتطلب وعياً دقيقاً وعوناً من الله تعالى، فبالرغم من أن الإطعام الذي قام به كان عملاً حسناً خاصة وأنه كان لله تعالى، ولكنه لم يكن أحسن الأعمال، وذلك ما وضّحه الإمام بقوله: «**أما كنت ترى أن فيهم من يحب أن يفعل فعلك فلا يبلغ مقدرته ذلك فتتقاصر إليه نفسه**».

فربما كان في هؤلاء الذين تطعمهم من يحب أن يفعل الشيء ذاته، أي يقوم هو بإطعام المجموع ولو مرة واحدة، كما تقوم أنت بذلك، لمكان محبوبيته، ولكن لم تكن لديه القدرة المالية على ذلك، فكان يحسّ بالضعف أو الضعة أو شيء من الذلّ.

لا شك أن هذا ليس من الإذلال الحرام وإلا لردعه الإمام ونهاه، إن الإمامﷺ هنا ليس في وارد النهي عن المنكر بل هو بصدد الإرشاد

إلى أحسن الأعمال، فكان الأولى بالمنفق هنا أن يلتفت إلى هذه النكتة الدقيقة التي أشار إليها الإمام ويعالجها بطريقة ذكية «كأن لا يظهر أن الإطعام كله منه» وليس المقصود الصدّ عن الإطعام البتة.

وهذا من باب النصائح، وقل من يتحملها إلا من أوتي حظاً من العلم والدين، ولذلك نلاحظ أن الحسين بن أبي العلاء أدرك مقصود الإمام عليه السلام فوراً وقال: «أستغفر الله ولا أعود» أي سوف أكفّ عن الإطعام بنحو يشعر من أطعمهم بشيء من التقاصر «أي قصور النفس وما أشبه»،حقاً لولا أهل البيت عليهم السلام لما عُبد الله حق عبادته.

العلاقة بين العناصر المتقدمة

إن العلاقة بين العناصر الواردة في هذه الفقرة من الدعاء تشبه ما يصطلح عليه أهل العلم بالعلاقة بين أجزاء المركب الارتباطي، أي بعضها مرتبط ببعض، فإذا فُقد جزء منها فُقد الكلّ، وإذا عرض لبعضها مانع فكأنما عرض للكلّ، فإذا وجدت في النفس نية صدّقتها الجوارح، ويكون التصديق متناسباً مع النية قوة وضعفاً.

ولكي نقرب الموضوع نذكر المثال التالي:

يذكران مولّدة الكهرباء القديمة في مدينة سامراء وفق الله المؤمنين لزيارة الأئمةﷺ فيها وفي غيرها وكيف أنها كانت ضعيفة، فكان الزوار الذين يفدون إلى سامراء لا يشاهدون المنارة في الليل، وكانوا يقولون عن المصابيح التي تعمل على هذه المولّدة إنها لا تُري إلا نفسها،فإذا كانت المولدة قوية كانت الإضاءة قوية، أما إذا كانت ضعيفة فلا يمكن أن نتوقع منها إلا النور الضعيف الذي لا يكاد يبين ما حوله.

وهكذا الحال بالنسبة لانعكاس الإيمان والحالات النفسية للإنسان على أعماله وتصرفاته، فذو النفس الكريمة لا تبخل يده، ومن كان شجاع النفس لا يصفر وجهه، وصاحب اليقين لا تحطم المشكلات أعصابه، ومن كانت نيته خالصة لله لا يعير لمدح الناس أو ذمّهم أهمية.

ولئن خفيت عنّا بعض الآثار فإنها لا تخفى على الله تعالى فإنه يعلم ما في نفوسنا، ويعلم كل منا ما في نفسه، ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ***﴾(١)، فلنتوقف قليلًا ونحاسب أنفسنا قبل أن نُحاسِب ففي الحديث: «**ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم**».

(١) القيامة ١٤-١٥

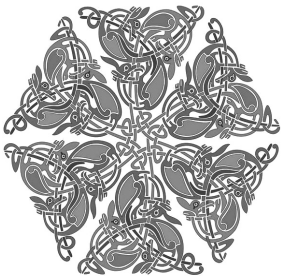

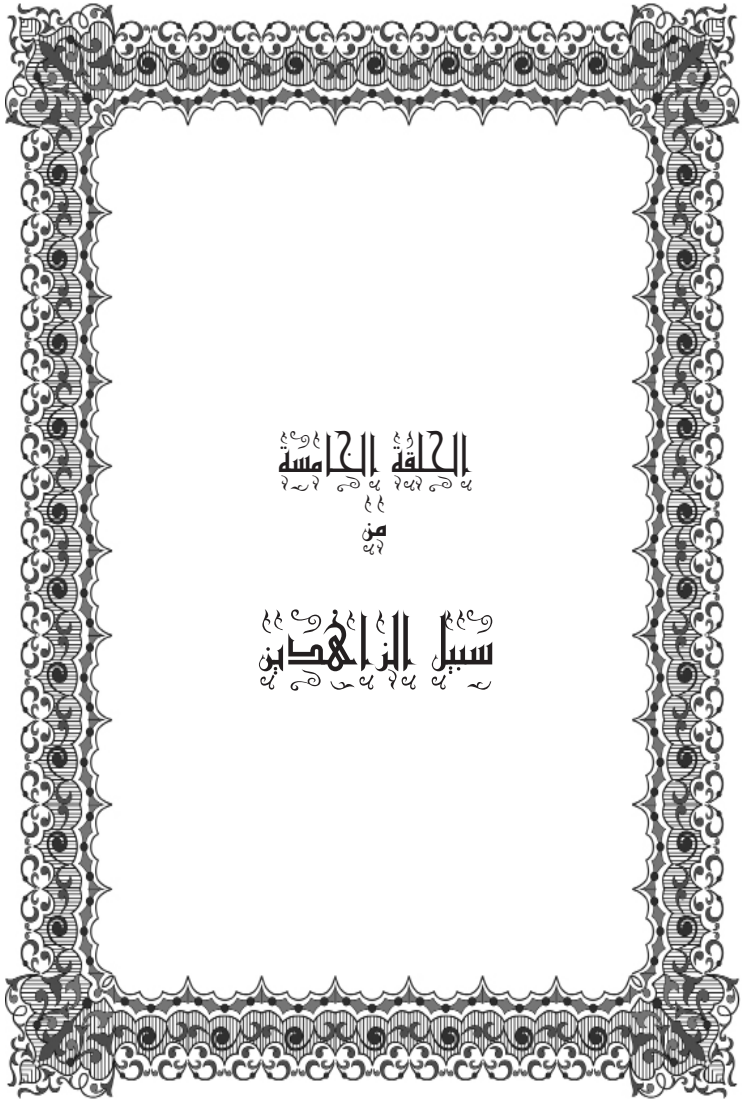
الحلقة الخامسة
من
سبيل الزاهدين

توبة أحد كتّاب بني أمية

«عَنْ عَبْد اللهَّ بْن حَمَّاد عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: كَانَ لِي صَديقٌ مِنْ كُتَّاب بَني أُمَيَّةَ فَقَالَ لِي: اسْتَأْذِن لِي على أَبي عَبْدِ اللهعليه السلام، فَاسْتَأْذَنْتُ لَهُ عَلَيْه، فَأَذنَ لَهُ، فَلَمَّا أَنْ دخل سَلَّمَ وَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: جُعِلْتُ فِداكَ إِنِّي كُنْتُ في ديوانِ هؤلاء القَوم فَأَصَبْتُ مِنْ دُنياهُمْ مَالاً كَثيراً وَأَغْمَضْتُ في مَطَالبه، فَقَالَ أَبُو عَبْد اللهعليه السلام: لَولا أَنَّ بَني أُمَيَّةَ وَجَدوا مَنْ يَكْتُبُ لَهُمْ وَيَجْبي لَهُمُ الْفَيْءَ ويُقَاتلُ عَنْهُمْ وَيَشْهَدُ جَمَاعَتَهُمْ لَمَا سَلَبونَا حَقَّنَا، وَلَو تَرَكَهُمُ النَّاسُ وَمَا في أَيْديهمْ مَا وَجَدوا شَيْئاً إِلا مَا وَقَعَ في أَيْديهمْ، قَالَ: فَقَالَ الْفَتَى: جُعلتُ فِداكَ فهل لي مَخْرَجٌ منْه؟ قَالَ: إن قُلْتُ لَكَ تَفْعَلُ؟ قَالَ: أَفْعَلُ، قَالَ لَهُ: فَاخْرُجْ منْ جَميعِ مَا اكْتَسَبْتَ في ديوانهمْ، فَمَنْ عَرَفْتَ منهُمْ رَدَدتَ عَليه مالَهُ، وَمَنْ لَمْ تَعْرفْ تَصَدَّقْتَ به، وَأَنَا أَضْمَنُ لَكَ عَلَى اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ الجَنَّةَ، قَالَ: فَأَطْرَقَ الْفَتَى رَأْسَهُ طَويلاً ثُمَّ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ جُعلتُ فداكَ،قَالَ ابْنُ أَبي حَمْزَةَ: فَرَجَعَ الْفَتَى مَعَنا إلى الْكُوفَة فَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَى وَجْه الأَرْضِ إلا خَرَجَ منْهُ حَتَّى ثِيابه الَّتي كَانَتْ عَلَى بَدَنه، قَالَ: فَقَسَمْتُ لَهُ قِسْمَةً وَاشْتَرَيْنَا لَهُ ثيَاباً وَبَعَثْنَا إِلَيْهِ بِنَفَقَة، قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَيْه إلا أَشْهُرٌ قَلائِلُ حَتَّى مَرِضَ، فَكُنَّا نَعُودُهُ...»،

ومعنى قول الرجل «وأغمضت في مطالبه»: أي لم أتحرّ أصله وهل هو من حلال أو حرام، وهذا الإغماض هو من مصاديق الزلل التي يمكن أن يتعرض لها كل أحد، ولا يشترط أن يكون في المال فقط.

وهذا الفتى عندما قال له الإمام عليه السلام: «**تخرج من كل مالك**» أدرك أن هذه الكلمة حقيقة وليس مجازاً، ولذلك «**أطرق رأسه طويلاً ثم قال قد فعلت**».

وعندما رجع إلى الكوفة خرج من كل أمواله حتى الثياب التي كانت عليه، ولذلك اشترى له أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الثياب وأعطوها له مع بعض المال لكي يعيش، ومات بعد ذلك بفترة وجيزة.

والغريب أن الذي جاء بالرجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وصار سبباً لتوبته ظاهراً علي بن أبي حمزة البطائني، وهو من أصحاب الإمام الصادق والإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ومن وكلائهما ولكنه انحرف بعد ذلك وكان أحد الثلاثة الذين أبدعوا مذهب الوقف.

فعلي بن أبي حمزة لم يكن لإيمانه عمق وإن بدا سطحه واسعاً ولذلك لم يكن مستقراً، ومعظم الروايات التي رواها معمول بها عند

علماء الطائفة، وهو ممن روى رواية «الأئمة اثنا عشر» ولكنه توقف عند السابع، بسبب مقدار من المال، فكان من الذين لم يلتفتوا جيداً فسقطوا.

إذن علينا أن نلتفت إلى ما نعمل وأن لا يكون عملنا مصلحاً من جانب ومفسداً من جانب آخر، وعلينا أن نترك الوساوس لأنها من الشيطان، فلا نترك العمل بل نصلحه ونتقنه، وأن نستلهم في هذا الطريق الدروس والعبر من النصائح والحكم التي وصلتنا عن النبي والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، مثل نصيحة الإمام الصادق عليه السلام للحسين بن أبي العلاء.

وهذا الأمر بحاجة إلى قليل من الالتفات والتأمل، فلا نترك العمل ولا نندفع وراءه دون وعي بل نكون - كما أرادنا الله تعالى - أمة وسطاً.

وعلينا في كل الحالات أن لا نغفل عن الشيطان وحبائله، فإن الله تعالى أجراه فينا مجرى الدم في العروق، فلنكن من وساوسه وحبائله على حذر.

أسأل الله سبحانه وتعالى ببركة أهل البيت عليهم السلام أن يوفقنا ويستجيب لنا هذه الدعوة الرباعية الواردة في مستهل دعاء مكارم الأخلاق،

يقول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «**اللهم صل على محمد وآله، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان واجعل يقيني أفضل اليقين وانته بنيتي إلى أحسن النيات وبعملي إلى أحسن الأعمال**»، وقلنا بأهمية هذه العناصر الأربعة وتلازمها وترتب بعضها على بعض، وأن النية والعمل يجب أن يكونا كلاهما حسنين، فلا فائدة في نية حسنة إذا لم يكن العمل حسناً، كما أن العمل الحسن وحده لا ينفع ما لم يكن صادراً عن نية حسنة، ولحسن النية درجات، ولحسن العمل درجات، ولذلك نرى الإمام عليه السلام يسأل الله سبحانه وتعالى في هذا الدعاء أن ينتهي بنيته إلى أحسن النيات أي أرفع درجاتها، وبعمله إلى أحسن الأعمال أيضاً.

ما هي أحسن الأعمال؟

لقد وُجّه هذا السؤال إلى الإمام زين العابدين عليه السلام نفسه بل إلى سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام كلّ في عصره، فأجاب كل إمام بشيء، ولربما أجاب الإمام الواحد بأكثر من إجابة حسب الموقف والمناسبة، فمثلاً هناك روايات تقول إن الصلاة أحسن الأعمال، وهناك روايات أخرى تقول إن صلة الرحم أحسن الأعمال، فما هي أحسن الأعمال حقاً، سيما وأن كلمة «**الأعمال**» وردت بصيغة الجمع المحلى بالألف واللام وهي

صيغة تفيد العموم، فيكون المقصود منها «كل الأعمال» يجمع الفقهاء عادة بين هذه الروايات وأمثالها إما على المعنى الإضافي أي النسبي، أو على اعتبار درجات الحسن، لأن الأئمةﷺ كانوا يجيبون أحياناً بمقتضى حال الشخص السائل، أي على نحو ما يصطلح عليه العلماء بالقضية الخارجية «مقابل القضية الحقيقية».

الإجابات المختلفة عن أحسن الأعمال في كلمات المعصومينﷺ إما أن تحمل على درجات الأحسنية والأفضلية المطلقة، وإما أن تحمل على الأحسنية والأفضلية النسبية، أي إن العمل الفلاني أحسن عمل بالنسبة لكذا أو للشخص الفلاني، والعمل الآخر أحسن بالنسبة لشخص آخر أو موقف آخر، وفيما نحن فيه حيث يعلّمنا الإمام السجادﷺ أن نسأل الله تعالى ونطلب منه أن ينتهي بعملنا إلى أحسن الأعمال، يجب أن نعرف ما هي أحسن الأعمال لنسعى إلى تحقيقها، فمن يحب شيئاً ويطلبه من الله تعالى لابد أن يسعى إليه، كما أن من يطلب معيشة أفضل يسعى نحوها.

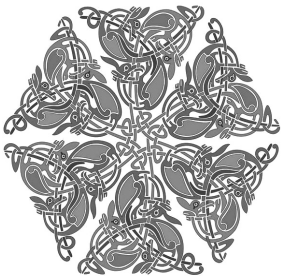

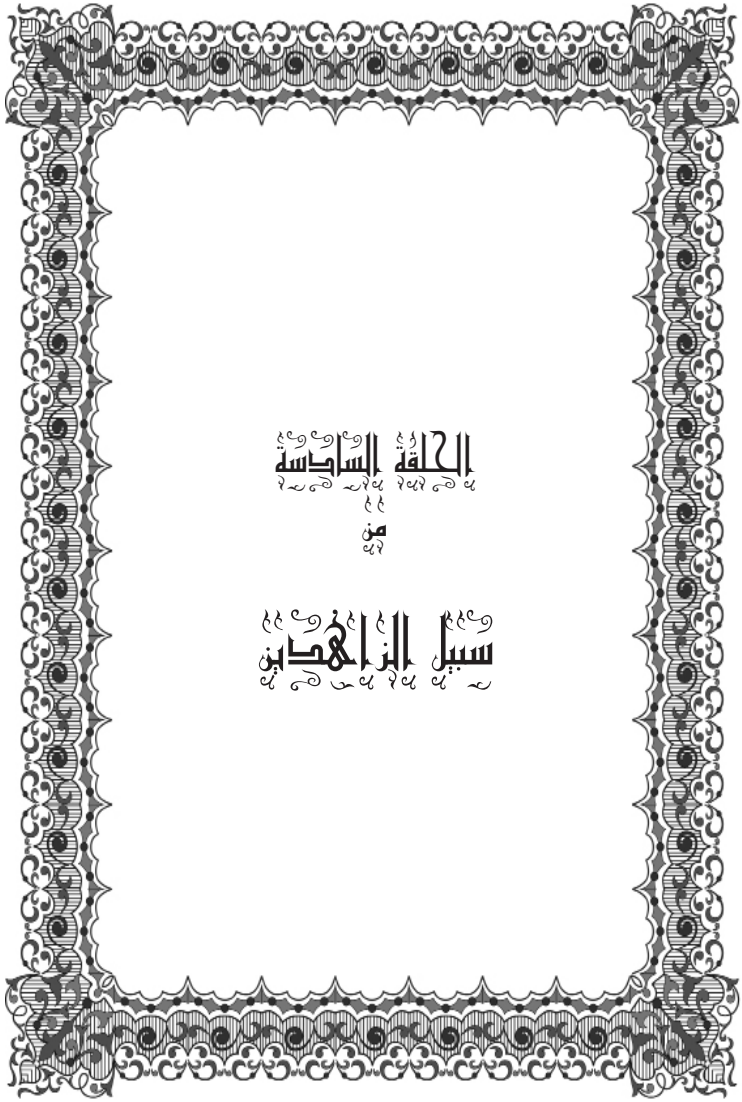

الحلقة السادسة

من

سبيل الزاهدين

العمل بالسنة الذي هو أحسن الأعمال

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الجواب: «**إن أفضل الأعمال عند الله ما عُمل بالسنّة**» والمقصود بالسنة هنا معناها الأعم وتشمل الفريضة، لأن السنة قد تطلق ويراد بها معناها الأخص وهي ما يقابل الفريضة «ككثير من المستحبات» وقد تطلق ويراد بها المعنى الأعم فتشمل الفريضة.

فيكون معنى الحديث أن على كل إنسان أن يعرف ما هي مسؤوليته الفعلية فيعمل بها، لأنها هي أحسن الأعمال بالنسبة إليه،فأفضل الأعمال بالنسبة لصاحب العيال العديم المال هو الاكتساب الحلال للحصول على المال والإنفاق على من تجب عليه نفقتهم.

وأفضل الأعمال لمن يرى العالَم منغمساً في الضلالة أن يبادر لتعلّم علوم أهل البيت عليهم السلام ويعلّمها الناس، كما في الرواية الصحيحة عن الإمام الرضا عليه السلام، وأفضل الأعمال للإنسان الذي بينه وبين رحمه قطيعة أن يصل رحمه، ولا تكون صلاة الليل مثلاً أحسن الأعمال بالنسبة إليه، وإن كانت حسنة له، وأحسن بالنسبة لغيره، فعندما يقال أن أفضل

الأعمال صلة الرحم، فمعناه أن على الشخص الذي بينه وبين رحمه قطيعة أن يبادر لصلتها قبل القيام بأي عمل آخر، لأنها أفضل عمل يطلبه الله منه، فهي أحسن من صلاة الليل ومن الدراسة ومن قراءة القرآن، لأن «**أفضل الأعمال ما عُمل بالسنّة**».

ومن الشواهد هو موقف مسلم بن عقيل رضي الله عنه وعدم فتكه بابن زياد في القصة المعروفة التي يتناقلها الخطباء وأحد رواتها هو مسلم نفسه.

قال ابن شهرآشوب: لما دخل مسلم الكوفة سكن في دار سالم بن المسيب فبايعه اثنا عشر ألف رجل فلما دخل ابن زياد انتقل من دار سالم إلى دار هانئ في جوف الليل ودخل في أمانه وكان يبايعه الناس حتى بايعه خمسة وعشرون ألف رجل فعزم على الخروج فقال هانئ: لا تعجل، وكان شريك بن الأعور الهمداني جاء من البصرة مع عبيد الله بن زياد فمرض فنزل دار هانئ أياماً، ثم قال لمسلم: إن عبيد الله يعودني وإني مطاوله الحديث فاخرج إليه بسيفك فاقتله وعلامتك أن أقول اسقوني ماء، ونهاه هانئ عن ذلك، فلما دخل عبيد الله على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله ورأى أن أحداً لا يخرج فخشي أن يفوته

فأخذ يقول:

ما الانتظار بسلمى أن تحييها كأس المنية بالتعجيل اسقوها

فتوهم ابن زياد وخرج، فلما خرج ابن زياد دخل مسلم والسيف في كفه فقال له شريك: ما منعك من قتله؟ قال: خصلتان أما إحداهما فكراهية هانئ أن يقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثنيه الناس عن النبي ﷺ له: «**أن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن**»، حقاً ما أعظم هذه الكلمات الثلاث، أجل إنها ثلاث كلمات فقط، ولكن الدنيا تزول في يوم ما، وتبقى هذه الكلمات خالدة.

فكما أن الإنسان المقيد بالسلسلة لا يستطيع التصرف بحرية لأن السلسلة تقيده وتمنعه من الحركة فكذلك هو الإسلام يمنع الإنسان المؤمن من الفتك، فإذا فتك فذلك يعني أنه قد تحرر من الإسلام ولم يعد متقيّداً به.

ولقد اتخذ مسلم رضي الله عنه الموقف الأمثل المطلوب منه، أي عمل بما تقتضيه السنة منه، فكان موقفه هذا أحسن الأعمال، بعد أن نقل العلامة المجلسي رحمه الله هذه القصة في البحار قال: لو قتل مسلم في تلك اللحظة ابنَ زياد لاستتب له أمر الكوفة وقوي جانب الحسين عليه السلام وربما آل الأمر

إلى سقوط يزيد وحكومة بني أمية، وهذا يعني تفويت فرصة عسكرية من أعظم الفرص، ولكن ماذا يعمل مسلم، والإسلام قيد الفتك.

صحيح إن مسلماً قد فوّت أكبر فرصة سياسية وذهبية لقلب المعادلة لصالحه وصالح الإمام الحسين عليه السلام مادياً، ولكنها لم تكن الفرصة الذهبية إسلامياً، بل كانت بعيدة عن روح الإسلام، فقد نقل مسلم رضي الله عنه حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه: «**إن الإسلام قيد الفتك**»،

فالغلبة المادية بالفتك ليس فيها بقاء الإسلام الذي هو فوق تلك الغلبات، فما عمله مسلم بن عقيل رضوان الله تعالى عليه كان عملاً بالسنة وهو أحسن الأعمال.

عن الحسن بن محبوب يقول: «عَنْ رَجُلٍ منْ أَصْحَابنَا عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ قَالَ: قُلْتُ لأبي عَبْد الله عليه السلام: إن لنا جاراً من هَمْدَانَ يُقَالُ لَهُ الْجَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ وهُوَ يَجْلسُ إلَيْنَا فَنَذْكُرُ عَليّاً أَميرَ الْمُؤْمنين عليه السلام وفَضْلَهُ فَيَقَعُ فيه، أَفَتَأْذَنُ لي فيه؟ قَال: فَقَال: يَا أَبَا الصَّبَّاح أوَ كُنْتَ فَاعلاً؟ فَقُلْتُ: إي واللهَّ لَئنْ أَذنْتَ لي فيه لأرصُدنَّهُ، فَإذَا صَارَ فيهَا اقْتَحَمْتُ عَلَيْه بسَيْفي فَخَبَطْتُهُ حَتَّى أَقْتُلَهُ، قَالَ: فَقَال: يَا أَبَا الصَّبَّاحِ هَذَا الْفَتْكُ

وقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهﷺ عَن الْفَتْك، يَا أَبَا الصَّبَّاحِ إنَّ الإسلام قَيَّدَ الْفَتْكَ ولكن دعه فستكفى بغيرك قال أبو الصباح: فلما رجعت من المدينه إلى الكوفه لم ألبث بها إلاّثمانية عشر يوماًفخرجت إلى المسجد فصليت فإذا رجل يحركني برجله قال: ياأبا الصباح البشرى فقلت بشرك الله بخيرفما ذاك؟ فقال ان الجعد بن عبد الله بات البارحة في داره التي في الجبانه فأيقضوه للصلاة فإذا هو مثل الزق المنفوخ ميتاً».

فالقتال والدفاع عن النفس والمبارزة في الميدان مفهومة من قبل الإسلام، أما الغدر فلا يجوز أبداً حتى في ساحة الحرب والجهاد، وهذا ما تشهد به الكتب الفقهية، أجل إن الحرب خدعة والخدعة جائزة في الحرب، ولكن الغدر غير الخدعة، فالخدعة تكون والحرب قائمة، أما أن تقتل رجلاً جاء لزيارتك فهذا ليس من شيم الإسلام، ويمكن تصور الخدعة أثناء الحرب كما لو تخلق أجواء خاصة في صفوف العدو بالصراخ وغيره، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث في حرب الجمل.

عندما صاح الإمام أميرالمؤمنينعليه السلام بأعلى صوته والحرب محتدمة: «**يا محمد بن أبي بكر، انظر إذا عرقب الجمل فأدرك أختك فوارها**»،وكانت عائشة تقود الجيش المعادي فتصوروا أن عائشة إما

سقطت وإما هي توشك أن تسقط، فتفرقوا عنها وانهزم الجيش، وهذه تسمى خدعة، أما الغدر فهو أن تعطي الأمان لخصمك ثم تفتك به وهذا ما لا يجوز.

صحيح أن ابن زياد كان من أشرّ الناس، ولكنه لم يأت إلى بيت هاني بصفته محارباً بل جاء بعنوان الزيارة، ولذلك لم يقتله مسلم غيلة، وهاهنا تكمن عظمة مسلم التي يقف التاريخ إجلالاً لها.

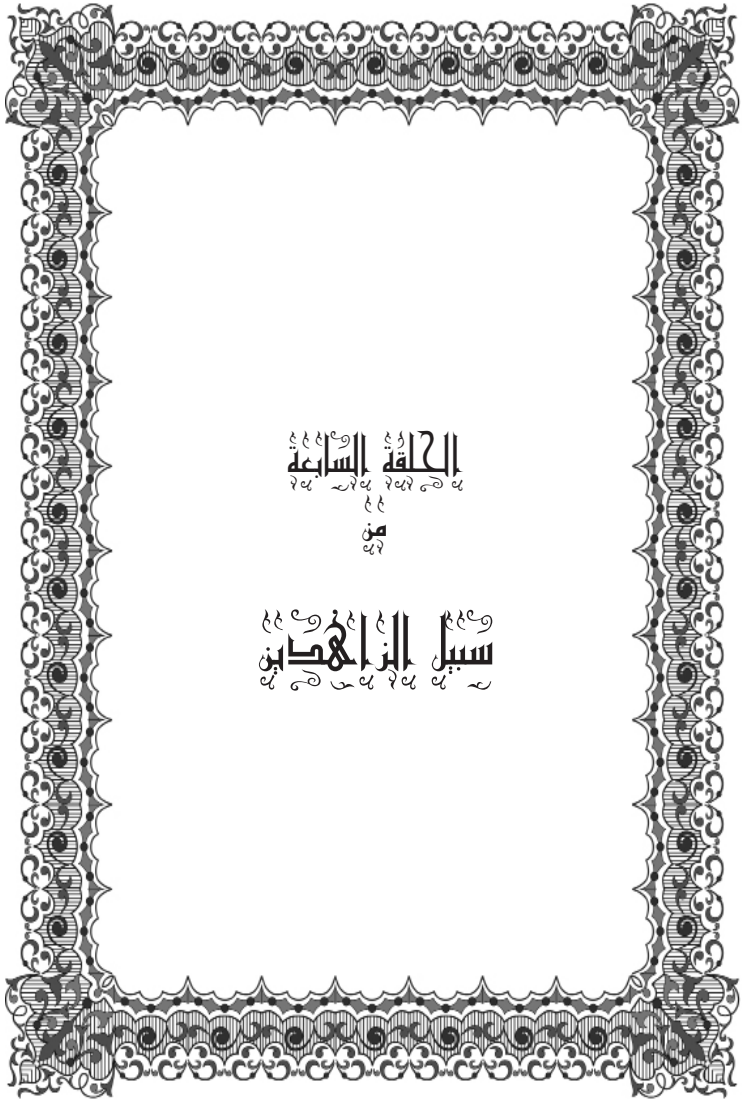

الحلقة السابعة

من

سبيل الزاهدين

أفضل الأعمال

إن من أفضل الأعمال هو تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام وتعليمها للناس، وهذا العمل يعد أفضل الأعمال ومصداقًا لقول الإمام السجاد عليه السلام: «**أفضل الأعمال ما عُمل بالسنة**»، فإن كان في مجال الواجبات أي من العلوم التي يجب تعلمها وتعليمها فهو أفضل الواجبات، وإن كان في مجال المستحبات فهو من أفضلها أيضاً.

قبل أن أذكر نموذجاً لأفضل الأعمال، ففي رواية عبد السلام بن صالح الهروي نسبة الى هراة من مدن أفغانستان المكنى بأبي الصلت، حيث كان خادماً للإمام الرضا عليه السلام، ولكن كل فقهاء الشيعة، والسنة أيضاً، يخضعون إجلالاً له، فهذا الخادم الذي في هذا المستوى من المكانة يروي الحديث التالي عن الإمام الرضا عليه السلام، يقول فيه:

«**سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس**».

وأما نموذج أفضل الأعمال فهو:

محمد بن مسعود العياشي من علماء الطائفة المعروفين والعظام، كان يعيش في بغداد، وكان معاصراً للشيخ الكليني وربما أسبق منه فيكون من المعاصرين لأواخر الغيبة الصغرى، كان الشيعة يومذاك أقلية من ناحية العدد، وكان محمد بن مسعود العياشي من علماء العامة آنذاك وقد ألف كتباً عديدة تأييداً لمذهبه آنذاك، وكان هناك شاب شيعي من علماء الشيعة الذين لم يذكرهم التاريخ والذين سيكشف عنهم وعن دورهم في يوم القيامة استطاع أن يغيّر فكر محمد بن مسعود العياشي ويحوّله عن مذهبه ويجعله شيعياً ومن أتباع أهل البيت عليهم السلام، حتى ذكر أصحاب السير والتراجم أن مسعود العياشي «أي الأب» كان من التجار الكبار وورث منه ابنه محمد وهو العياشي المعروف ثلاثمئة ألف دينار أي أكثر من طن من الذهب، أنفقها كلها في سبيل نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام.

لاشك أن الشخص أوالأشخاص الذين كانوا وراء تغيير عقيدة العياشي عملوا بأحسن الأعمال، فلقد استطاعوا أن يغيّروا عالِماً مع أن العالِم لايتغيّر بسرعة، فليس هو كالإنسان العادي يتغيّر في جلسة أوجلستين، مضافاً إلى أن تغيير العالِم يعني تغيير العالَم، لأن العالِم اذا صلح صلح العالم، كما هو الحقيقة، أفلا يكون عمل من غيَّر العياشي وأمثاله أفضل الأعمال.

يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه أيضاً: «**اللهم وفّر بلطفك نيّتي، وصحّح بما عندك يقيني**».

التوفير في اللغة يستعمل متعدّياً ويستعمل لازماً، وقد استعمل الإمام عليه السلام هذه الكلمة بشأن النية لأنّ ما يطلبه الإمام من الله تعالى هو المراتب العالية من الشيء وليس أصل الشيء كما في طلبنا نحن، فإنّ الإمام يطلب هنا توفير النية لأن الثبات على النية أصعب شيء على النفس والنفس متذبذبة ويؤيّد ذلك الاعتبار الخارج – على حد تعبير الفقهاء –، والتذبذب الذي يحصل لبعضنا في الصلاة، فربما تبدلت نية بعضنا في الصلاة الواحدة أكثر من عشرين مرة فقد يبدأ الشخص منّا صلاته بداعي «**إلهي ما عبدتُك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك ولكن وجدتُك أهلاً للعبادة**».

فيبدأ تكبيرته بهذه النية، ولكن بمجرد أن يتم التكبير تهجم على ذهنه الأفكار، إذا كان تاجراً فكّر في تجارته وهكذا، فهل هذا هو المراد من التكبير، إنّ قضية الثبات على النية مسألة صعبة جداً، فإنّ الإنسان مهما أوتي من توفيق وإخلاص حتى لو بلغ مستمراً على الإخلاص سبعين سنة فإنّه لا يؤمَن من تزلزل النية أيضاً، لأنّ الإنسان – كما ذُكر –

مكبّل ومشدود بغرائز وشهوات وهوى ودنيا وأشياء مختلفة وغريبة.

ولذلك يطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى إكمال النية وإبعاد النقص فيها، ويطلب صيانتها فهي معرّضة للتأثيرات المختلفة، وما المانع أن يريد الإمام كلا المعنيين، واللغة وبخاصة العربية مليئة بالكناية والمجاز من أمثال ذلك.

إنّ موضوع النية موضوع صعب ودقيق للغاية، وقد ورد في كثير من الآيات الكريمة والروايات الشريفة والأحاديث القدسية أنّ جمهرة عظيمة وكبيرة من الناس يدخلون جهنم والعياذ بالله لسوء نياتهم رغم أنّ أعمالهم كما في الروايات كالجبال في ضخامتها، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**يؤتى في يوم القيامة بالرجل قد عمل أعمال الخير كالجبال، أو قال: كجبال تهامة - وله خطيئة واحدة، فيقال إنما عملتها ليقال عنك، فقد قيل، وذاك ثوابك وهذه خطيئتك، أدخلوه بها إلى جهنم**».

لذلك ينبغي لنا أن نطلب من الله توفير النية أي صيانتها من الأخطار ومن الشيطان والشهوات والتأثيرات المختلفة.

ليس هذا فحسب، إنّ الإمام لا يقتصر على قول: «**وفِّر نيتي**» بل

يقول: «**وفِّر بلطفك نيتي**»، أي يعلمنا أن نقول: يا إلهي أنا غير مستحق ولا أهل لأن توفّر نيتي، ولكن بلطفك أنت يا إلهي وفّر نيتي، فهذه الباء هي باء السببية، أي ليتدخل يا إلهي لطفك وبه وفِّر نيتي، وإلاّ فإنّي غير مستحقّ لولا لطفك ورحمتك، فما هو المراد من اللطف هنا؟.

إنّ كل كلمة من كلمات هذا الدعاء موسوعة حقاً، ولو عرضتَ هذا الدعاء وحده على شخص لا يعرف أهل البيت عليهم السلام ولكن كان أديباً وعارفاً للمعاني لكان كفيلاً بتغيير نظرته وتحوّله إلى أهل البيت عليهم السلام.

«**اللطيف**»في اللغة له عدّة معان، ومن تلك المعاني: الرفيق أي صاحب الرفق، ومن معاني اللطيف: الدقيق، وغير مستبعد أن يريد الإمام المعنيَين، ولا شكّ أنّ استعمال هذه المعاني كلها مجازي بالنسبة لله تعالى.

فكأنّ الداعي يقول: يا إلهي أنت رفيق بعبادك «ترفق بهم» فبرفقك يا إلهي وفّر نيتي، وإنّ النية أمر دقيق يا إلهي فبدقّتك وفّر نيتي.

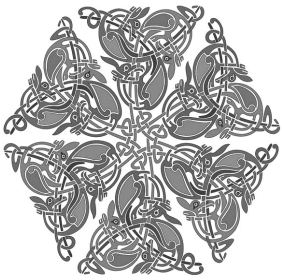

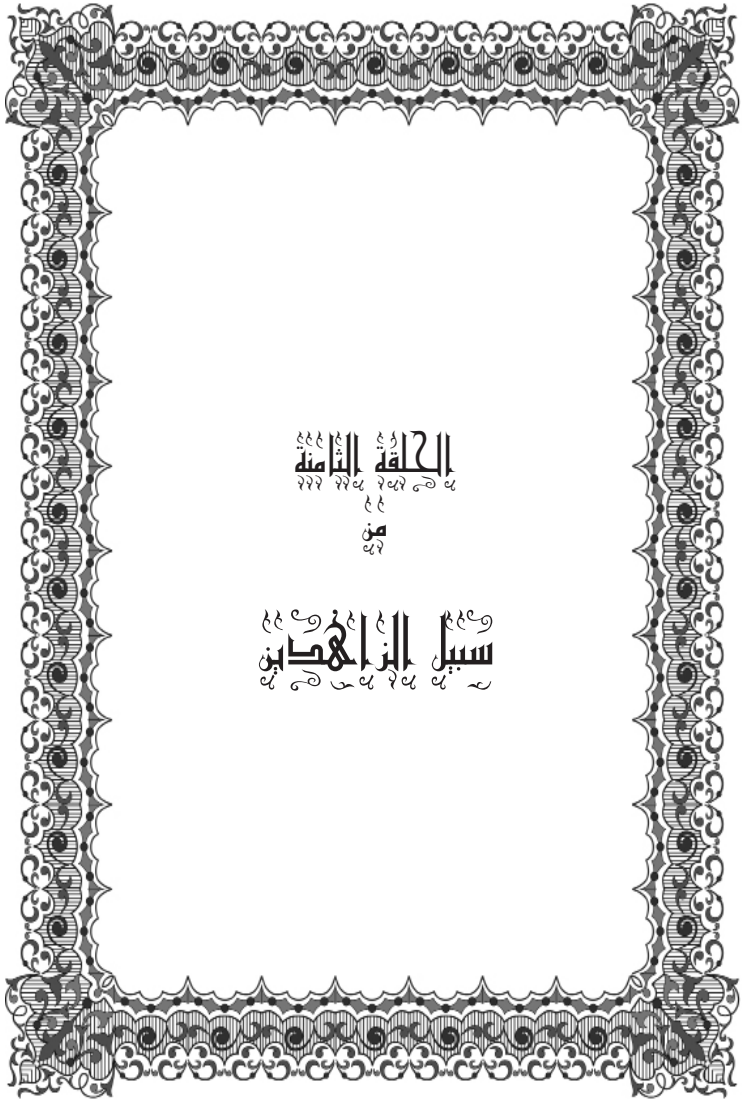
الحلقة الثامنة
من
سبيل الزاهدين

على قدر النية تكون العطية

هناك حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول فيه: «**فلا يقنطك إبطاء إجابته فإن العطية على قدر النية**»، كما أنّ هناك جملة متداولة مضمونها:«على نيّاتكم تُرزقون» تشارك الحديث المتقدّم بالمضمون.

صحيح أنّ الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة - كما في الحديث، ولم يقل: « جناحي بعوضة» لأنّ البعوضة قد تستفيد منهما آنذاك، بل قال «**جناح بعوضة**» بياناً لتفاهة الدنيا وانحطاط شأنها عند الله، لكننا مركّبون بنحو بحيث نحتاج إلى أمور كثيرة في هذه الدنيا، وقد تكبلنا المشكلات أيضاً، فنطلب من الله تعالى، فإذا كانت العطية على قدر النية، فلنطلب من الله تعالى ما هو أعظم من الدنيا،، فلنطلب حاجات الآخرة أيضاً، فمن أجلها خُلقنا، ومن أجلها أيضاً خلقت الدنيا.

لا ضير في أن يطلب العبد من الله المال والله يرزقه، ويطلب الصحة والله يمنَحُها، ويطلب كل طيّبات الحياة الدنيا والله أحلّها للإنسان المؤمن، وكل ذلك موجود في الأدعية أيضاً، ولا بأس به، ولكن أنّ هذا ليس هو المهم عند الله تعالى، وليس هذا هو الهدف النهائي وراء

خلق الإنسان ، بل المهم عند الله وما خُلق من أجله الإنسان هي الدار الآخرة، فلنطلب من الله حاجات تلك الدار أيضاً، لأنّ العطية على قدر النية كما في الحديث العلوي الشريف.

ولا بأس أن نتذكّر عطية الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام الذي ترك الخلق طراً في الله، فقد أعطاه سبحانه امتيازات لم يعطها أحداً قط حتى أولئك الذين هم أفضل من الحسين عليه السلام وهم جدّه المصطفى وأبوه المرتضى وأمّه الزهراء وأخوه المجتبى عليهم السلام، وهذا الأمر ملحوظ في الأدعية والزيارات كثيراً.

هناك زيارة للإمام الحسين عليه السلام يرويها العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار هذه الزيارة معتبرة سنداً وينقلها كتاب معتبر، وفيها يقول الإمام الصادق عليه السلام مخاطباً جده الإمام الحسين عليه السلام: «**وضمَّن – أي الله تعالى – الأرض ومَن عليها دمك وثارك**»، لم يرد مثل هذا التعبير في الروايات والأدعية والزيارات المروية عن أهل البيت عليهم السلام إلاّ ما ورد هنا بحق الإمام الحسين عليه السلام، ولكن قبل بيان ذلك لابدّ أن نعرف معاني مفردات الجملة، وأولها « **ضمّن**» وفاعله ضمير مستتر يعود إلى الله، كما يتبيّن ذلك لمن يراجع الزيارة، أمّا الضمان فهو موضوع شرعي يوجد

خلاف بين الشيعة والسنة في معناه، فالمشهور بين علماء العامة أنّه « ضمّ ذمة إلى ذمة»، أمّا مشهور الشيعة فيقولون إنّ الضمان « نقل ذمة إلى ذمة» وتوضيحهما:

ان ظاهر عبارة الإمام الصادق عليه السلام في زيارة الإمام الحسين عليه السلام فهي: أنّ الله سبحانه وتعالى ألقى على الأرض مسؤولية دم الحسين عليه السلام لأنّ ذلك الدم الطاهر أُريق عليها، وأصبح بذمتها فأصبحت هي الضامن والمسؤولة عن دم الحسين عليه السلام، هذا هو المعنى الظاهر من «**ضمّن الأرض دمه**».

ولا يشترط أن يكون الضمان اختيارياً فربما ركل النائم برجله كوزاً فكسره فهو ضامن له، مع أنّه لم يكن مريداً لذلك، وهكذا الأرض – كل الأرض – أصبحت مسؤولة عن دم الحسين عليه السلام لأنه أريق عليها وإن لم تكن الأرض راضية بذلك.

إنّ من أصول الدين عند أتباع آل البيت عليهم السلام هو العدل الإلهي، وهو أنّ الله منَزّه عن الظلم، وهذا يستلزم أن ينسجم كل ما يرد في روايات أهل البيت عليهم السلام مع منطق العدل الإلهي، وكل تفسير يتعارض مع العدل الإلهي وينافيه فهو مرفوض سلفاً جملة وتفصيلاً.

ههنا يقول النص إنّ الله « **ضمن الأرض**» أي الأرض كلها، فليس في العبارة ما يصرف لفظة الأرض عن معناها العام إلى بقعة بعينها، مع العلم أنّ كلمة «كربلاء» وهي الأرض التي أُريق عليها دم الحسين عليه السلام موجودة في الروايات والزيارات الأخرى كثيراً، وكذلك كلمة «الكوفة» وهي الأرض التي خرجت منها الجيوش لقتل الحسين عليه السلام، ولكن عندما نراجع هذه الزيارة نرى كلمة « الأرض» بإطلاقها، ليس هذا وحسب، بل يقول النص « وضمن الأرض ومَن عليها» أي كل من عليها وهم كل البشر الذين سكنوا الأرض من أول الدنيا إلى آخرها، يقول العلامة المجلسي رحمه الله لعل المقصود من «**مَن عليها**» الملائكة والجن.

ولكن قد يقال: ولماذا الملائكة والجن فقط؟ بل البشر أيضاً، لأنّ «مَن» موصولة وهي تفيد الإطلاق والعموم كما هو المشهور بين علماء اللغة والأصول، فتكون معنى العبارة: أنّ الله تعالى ألقى مسؤولية دم الحسين على الكرة الأرضية وكل مَن عليها.

بل أكثر من ذلك، يقول النص: «**ضمن الأرض دمك وثارك**» فإنّ الدم شيء والثأر شيء آخر، الثأر يعني الانتقام للدم المراق، مما يعني أنّ الله ألقى مسؤولية الثأر أيضاً على الأرض وعلى مَن عليها.

اذ أنّ الله سبحانه وتعالى ربط قضية الإمام الحسين عليه السلام بالتكوين، فمسؤولية الأرض والجمادات مسألة تكوينية، كما أنّ مسؤولية مَن جعل الله له العقل أو الشعور كالإنسان والجن والملك أو الشياطين هي مسؤولية تشريعية، وبالتالي فإنّ فهم « ضمن الأرض» سهل كما يبدو فهي مسألة تكوينية لا داعي لأن نؤوّلها لأنّها ليست في مجال التشريع، يكفي أن نعرف أنّ الله جعل دم الحسين عليه السلام في ذمة الكرة الأرضية، ولا بأس في ذلك، ولكن الشق الثاني هو الذي يحتاج إلى تأمّل وهو كلمة «**ومَن عليها**»، فظاهر العبارة أنّ كل مَن على الأرض يتحمل مسؤولية دم الحسين والثأر له، مع أنّ من بينهم أحباء الحسين عليه السلام كما قلنا فكيف يستقيم ذلك؟

يقول الفقهاء: إذا ورد حديث صحيح وفيه صيغة «أمر» مثلاً، فظاهر صيغة الأمر هو المعنى الحقيقي أي الوجوب إلاّ إذا كانت هناك قرائن على عدم إرادة الوجوب، فننتقل إلى الاستحباب.

وهنا أيضاً لما كان المعنى الحقيقي لا يمكن حمله على العبارة لأنّ ذلك يقتضي توجيه العقوبة حتى على الذين لم يشتركوا ولم يرضوا بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ينافي منطق العدل، إذاً لا يمكن حمل العبارة

هنا على المعنى الحقيقي، والقرينة العقلية لصرفها على المعنى المجازي موجودة وهي العدل الإلهي، فنبحث عن أقرب المجازات.

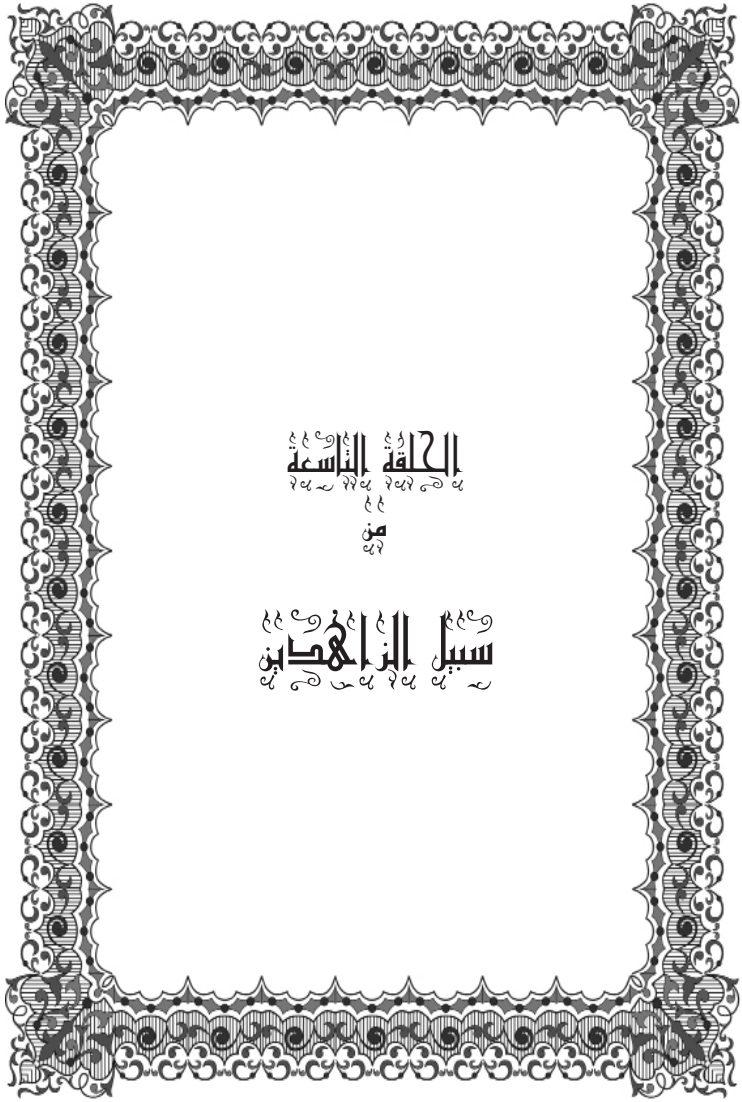

الحلقة التاسعة

من

سبيل الزاهدين

قضية الإمام الحسين عليه السلام

انّ الله ضمّن الأرض ومن على الأرض مسؤولية الثأر للإمام الحسين عليه السلام فربَط التكوين بقضية الحسين عليه السلام وعلى ذلك أدلة وروايات متواترة ومتوافرة، من ذلك ما روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: «**إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه**».

أليس هذا من ربط قضية الإمام الحسين عليه السلام بالتكوين، علماً أنّ النبي إبراهيم «عليه وعلى نبينا وآله السلام» كان يعيش قبل آلاف السنين من حادثة كربلاء يشج رأسه عندما يمر بأرض كربلاء، مع أنّه شيخ الأنبياء والمرسلين، الذي أُمرنا أن نسلّم عليه أولاً إذا ذُكر اسمه ثم نسلّم على نبينا وآله «عليهم جميعاً سلام الله»، ولقد جاء التعليم أن نقول إذا ذكرنا اسم نبي من أنبياء الله هكذا: على نبينا وآله السلام، إلاّ إبراهيم فإنّه ينبغي أن نقول إذا ذكرنا اسمه: عليه وعلى نبينا وآله السلام، فإبراهيم أبو الأنبياء وشيخ المرسلين ولقد اتّخذه الله خليلاً من بين كل مخلوقاته

من الإنس والجن والملائكة،ونسب إليه بعض المشاعر المقدسة في مكة المكرمة تعظيماً له وتشريفاً وتكريماً، وإلاّ فإنّ معظم هذه المشاعر ابتدأ بها آدم على نبينا وآله السلام،فآدم أول مَن نزل عرفات وهو أول من ذهب إلى مِنى وأول من بنى الكعبة المقدسة، وأول من طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وعندما سئل الإمام عليه السلام عمن حلق رأس آدم عليه السلام بعد أداء المناسك، قال: «**جبرئيل** عليه السلام» ومع ذلك فإنّ الله تعالى ينسب العديد من شعائر الحج إلى إبراهيم عليه السلام.

إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وآله السلام على هذه العظمة عندما يمر بأرض كربلاء يشج رأسه ويخرج منه الدم موافقة لدم الحسين عليه السلام، ذلك أنّ قتل الحسين قتل للكرامة وللإسلام وللأنبياء جميعاً، إنّ قتل الحسين عليه السلام قتل للمعنويات،، وتخريب للتكوين وللكرة الأرضية، ومن هنا جعل ثأره على عاتق الأرض ومَن عليها أجمعين، وهذا معنى «ضمن الأرض ومَن عليها ثأرك» ولا يقصد بالثأر للإمام الحسين قتل قاتله فقط بل يعني المسؤولية التي ينبغي تحملها تجاه قضيته عليه السلام.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله:«**كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام فإذا**

كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام».

وهذا يعني أنّ لمحرم خصوصية وتميزاً، فبحلول هذا الموسم وبمجرد أن يهلّ هلال هذا الشهر يتبادر إلى الذهن اسم الإمام الحسين عليه السلام، حيث قُتل في العاشر منه مظلوماً شهيداً، ويذكّرنا بمسؤوليتنا تجاه قضية الحسين والثأر لدم الحسين عليه السلام، ومن جملة مسؤوليتنا أمران:

الأول: التعريف بالحسين عليه السلام وقضيته وجعله علماً بحيث يراه كل إنسان في شرق الأرض وغربها.

لقد نقلت العقيلة زينب! بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لابن أخيها زين العابدين عليه السلام في الحادي عشر من المحرم لما رأته يجود بنفسه حديثاً سمعته من أم أيمن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله تسليه به فقالت: «**لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك ولقد أخذ الله الميثاق من أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر**

أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً وأمره إلاّ علواً».

إذن علينا تأسيس عزاء الحسين عليه السلام وتشجيع إقامته بمختلف أساليبه وأشكاله المشروعة، والفقهاء المتخصصون في معرفة الحلال والحرام يحددون ما هو جائز منها وحسب، ولا ينبغي الاستماع لغيرهم أو القول دون علم.

أما الأمر الثاني وهو الأهم، بل جُعل الأمر الأول طريقاً إليه، فهو متابعة أهداف الإمام الحسين عليه السلام.

نقول في زيارته عليه السلام: «**وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**»، واللام في «**ليستنقذ**» لام التعليل، أي لهذا السبب، فهذا هو هدف الإمام الحسين عليه السلام، وليس المقصود بكلمة «عبادك» المؤمنين المتقين منهم، المعتقدين بالإمام الحسين عليه السلام ومَن عبّر عنهم القرآن بقوله تعالى:«عباد الرحمن» فهؤلاء ليسوا في جهالة وضلالة، وهم يعرفون الإمام الحسين عليه السلام، بل المقصود غيرهم من سائر البشر،

وهذا الأمر يدعونا للتأمل في زيارات الإمام الحسين عليه السلام.

فالتعريف بالحسين عليه السلام وقضيته من خلال إقامة مجالس العزاء والشعائر الحسينية من جانب والعمل على تحقيق هدف الإمام الحسين المتمثل بإنقاذ العباد من جهالة الكفر وضلالة الباطل إلى نور الحق والإسلام والإيمان من جانب آخر هما ضمن المسؤولية الملقاة علينا جميعاً تجاه الثأر للإمام الحسين عليه السلام.

فلنشمّر عن ساعد الجد وخصوصاً في شهري محرم وصفر، ولنعدّ ونستعد من قبل حلولهما ولنستثمر كل طاقاتنا في هذا السبيل من أجل أن يكون الإمام الحسين عليه السلام علَماً وهادياً لكل البشر،، من خلال المواكب والشعائر، ومن خلال الأفلام والتسجيلات ومن خلال الانترنيت والفضائيات ومن خلال المنابر والندوات، وكل الوسائل المتاحة لنا، فهذه جزء من مسؤوليتنا الواردة في قول الإمام الصادق عليه السلام يخاطب جده الإمام الحسين:

«**وضمن الأرض ومَن عليها دمك وثارك**»، فما أكثر الناس الذين لا يعرفون الإمام الحسين عليه السلام وقضيته وأهداف نهضته وما أثقل مسؤوليتنا

إذاً،نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والثأر للإمام الحسين عن هذا الطريق، طريق تعريف العالَم أجمع بالإمام الحسين عليه السلام وأهداف نهضته المقدسة.

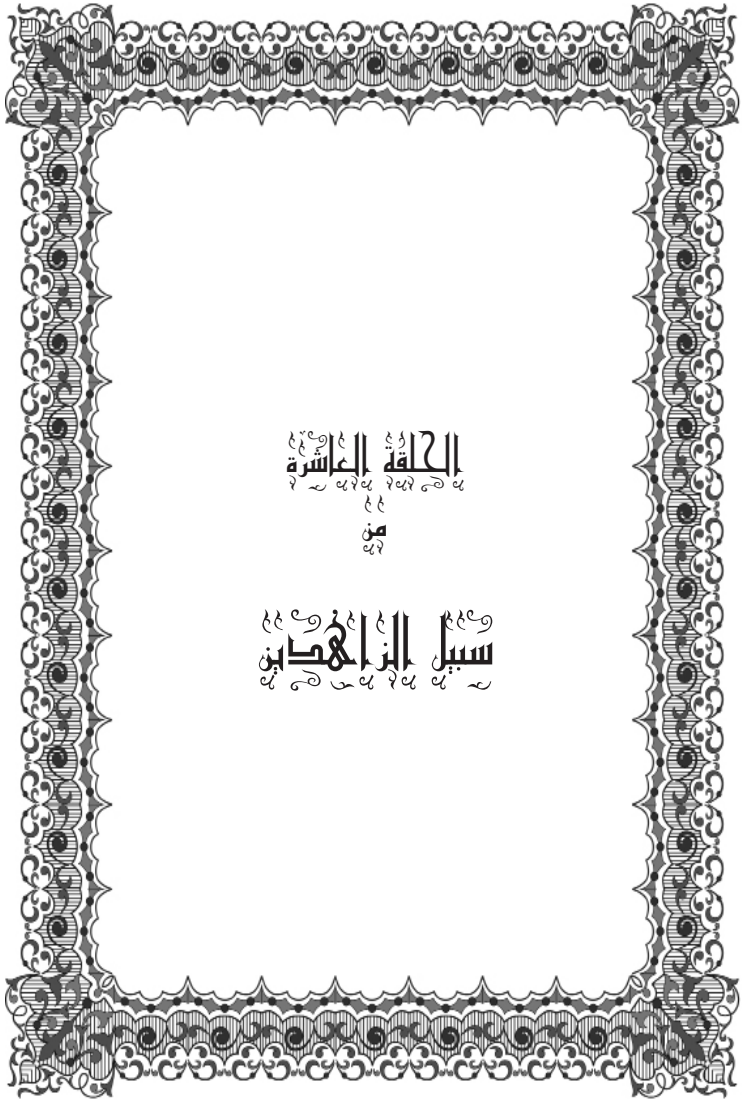

الحلقة العاشرة

من

سبيل الزاهدين

النية

يقول الإمام السجاد عليه السلام في دعائه: «**اللهم وفّر بلطفك نيّتي، وصحّح بما عندك يقيني**».

تقدم بعض الحديث عن النية في حلقة سابقة، ولكن حيث إن النية من المسائل المهمة جداً، ينبغي لنا أن نقف وقفة أخرى عندها.

وقلنا إن النية بحاجة إلى الصيانة والإكمال، ولذلك قال الإمام زين العابدين عليه السلام في أول دعاء مكارم الأخلاق: «**اللهم وفّر بلطفك نيتي**»، لأن التوفير بمعنى الصيانة والإكمال.

إن الإنسان مع ما أودع الله تعالى فيه من الطاقات الضخمة، كثيراً ما يضعف عن صيانة نيته وحفظها، وكثيراً ما يعجز عن الصعود والارتقاء بها إلى درجات الكمال العليا، ولذلك يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**اللهم وفّر بلطفك نيتي**» أي أنت يا إلهي خذ بيدي واصعد بي.

والنية إطار العمل، فالعمل لا لون له، مثل الماء الشفاف الذي لم تخالطه أجزاء ترابية أو شوائب أخرى، فلو كان الماء صافياً جداً وصُبّ

في إناء زجاجي شفاف أيضاً، لا يتمكن الإنسان أن يبصر حدّ الماء من بعيد بسهولة إذا كان ساكناً لا تموّج فيه، وذلك لأن الماء في الأصل لا لون فيه وإنما يكتسب اللون مما يُصبّ أو يوضع فيه أو يمتزج معه، وهكذا الهواء، فإن أطناناً منه تحيط بنا ولكننا لا نبصره لأنه شفاف،إذا اتضح مثال الماء والهواء نقول إن العمل كالماء وإن النية كالشيء الذي يمنحه لونه، مثال على ذلك لتقريب الصورة: فلو إن شخص شتمك ولكنك حلمت، فالحلم شيء صعب وجميل، ولكن الأصعب من الحلم تأطيره بنية إلهية، أما إذا كان الدافع لاستعمالك الحلم أن تقوّي مركزك بين الأصدقاء أو يقال عنك حليم، أو تعلن للناس أنك قوي الإرادة، فهذا يختلف عمن يحلم لعلمه أن الله يحب الحلم ويدعو إليه، ولكلٍّ حساب.

لا عمل إلا بنية :

و «لا» هنا نافية للجنس، لأن اسمها مبني على الفتح، وهي تختلف في أدائها ومدلولها عن «لا» المشبهة بـ «ليس» في كونها تنفي جنس الشيء وهو العمل في المقام، وهذا معناه أن العمل واللا عمل سيان إذا لم يكن بنية، وبتعبير أدق العمل بلانية واللاعمل سواء، وليس المقصود نفي

الحقيقة والواقع الخارجي بل نفي الاعتبار والواقع المطلوب، فمن واصل الدراسة لمدة عشرين أو ثلاثين سنة حتى بلغ مرحلة الاجتهاد، فهو يعبر عن وجود همة وأن صاحبها رجل قويّ، فكيف لا يعدّ ما بذله من جهد عملاً؟ وهكذا من عمِل إطعاماً أو ألقى خطاباً استوجب مدح الناس وإعجابهم كيف يقال عما صدر منه أنه لا عمل إن لم يكن مقترناً بالنية؟ لا شك أن المقصود هو نفي الاعتبار وليس الحقيقة،وسيأتي يوم ينتشر هذا اللاعمل بعدد أعمال الخلائق، فلكل فرد منا مئات الملايين من الأعمال في حياته، لأن العمل ليس منبراً أو تأليفاً أو تدريساً أو بناء حسينية وحسب، بل كل نظرة وكل نفحة، وكل خطور وكل تأمل وتفكر، وكل لمسة وهمسة ولمزة وخلسة، وكل استماع ونجوى وتعبير، وستجتمع هذه الأعمال عند الله تعالى وتنشر يوم القيامة، ويكشف عندها عن عدد هائل من اللاعمل بعدد مصاديق الأعمال المجردة عن النية الحسنة.

لا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة

وهذه تتمة الحديث ولعل خير مثال يوضّح هذا المعنى هم أولئك الذين كفّروا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وشهروا سيوفهم في وجهه بنية

التقرب إلى الله تعالى.

فكيف يُتصوّرُ قبولُ عمل من شَهَر سيفهُ في وجه علي وهوعليه السلام ميزان الأعمال يوم القيامة؟ أي بأعمال عليعليه السلام توزن أعمال العباد ليعرف ثقلها ﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ* نَارٌ حَامِيَةٌ**﴾[1]

أيعقل أن يجعل اللهُ تعالى علياً هو الميزان والمعيار لأعمال العباد والفيصل بين الحق والباطل، الذي يدور الحق معه حيثما دار، ثم يدعو لمحاربته وإشهار السيف بوجهه؟.

ولكنا نرى قوماً هذا فعلهم ومع ذلك ذكر المؤرخون أنه عندما طُعن أحدهم في حرب النهروان برمح في صدره دفع صدره إلى الإمام وقرأ هذه الآية الكريمة: ﴿**وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى**﴾، فهذا عنده عمل وعنده نية ولكن عمله ونيته ما أصابا السنة، فهذا أيضاً يكون عمله من مصاديق «لاعمل».

وفي الأحاديث أن النية لون العمل وأنها قبل العمل وحين العمل

(١) القارعة ٦-١١

وبعد العمل لا فرق، فالنية حتى إن فسدت بعد العمل فهي تُفسد العمل، ولكن الفقهاء رضي الله عنهم سهّلوا علينا الأمر وقالوا إن النية حين العمل إذا كانت لغير الله وكانت رياء مثلاً فهي تبطل العمل، ولكنها إن فسدت بعد العمل فهي لا تبطل العمل، وهذا الفهم ليس من باب التناقض مع مفهوم الروايات المتقدمة بل هو فهم يفرّق بين البطلان وبين عدم القبول، وهو مستفاد من روايات أخرى طبعاً، ويمكن توضيح المطلب بمثال:

لو أن شخصاً نوى أن يصلي رياء أي كانت نيته فاسدة قبل العمل، أو صدر منه الرياء أثناء الصلاة كما لو حضر في المكان شخص مهمّ وهو يصلي فحسّن صلاته وتظاهر بالخشوع رياءً له، فلا شك بفساد الصلاة وبطلانها في الحالتين، والبطلان يستوجب الإعادة في الوقت، والقضاء خارج الوقت إن فاته.

ولكن لو فرضنا أن الشخص لم تكن هذه نيته لا قبل الصلاة ولا أثناءها ولكنه وبعد أن أتم الصلاة حدثته نفسه بالرياء والتظاهر، وعمل بذلك، فتحدّث عن صلاته وخشوعه فيها، فهنا يقول الفقهاء إن الصلاة لا تبطل، ويعنون بذلك بطلانها الدنيوي والتكليفي والظاهري، وهو

معنى مساوق لعدم وجوب الإعادة والقضاء، أما الروايات التي تقول باشتراط حسن النية حتى بعد العمل فهي ناظرة إلى القبول، ولذلك فإن هذه الصلاة تساوق العدم من حيث الأجر والقبول وإن لم تستلزم الإعادة، لسقوط التكليف بالفراغ منه قبل حصول الخلل في النية.

أما الخلل الحاصل قبل العمل أو حينه فهو مخلّ بالركنين معاً «الصحة والقبول»، ولذلك عُد من راءى أثناء صلاته كمن صلى بلا وضوء أو مستدبر القبلة أو مع النجاسة غير المعفوّ عنها وما أشبه ومن ثم فتجب عليه الإعادة، والقضاء إن لم يعد في الوقت، بل يجبُ على ورثته قضاؤها إن لم يقضها أيضاً، وهذا تفصيله في الكتب الفقهية.

أما إذا كان الرياء بعد الانتهاء من العمل فهو غير مشمول لهذه الحالات ولكن هذه الصلاة لا تُكتب في قائمة أعماله وتكون مصداقاً للحديث الشريف «**لا عمل إلا بالنية**» لا تختلف في ذلك من هذه الحيثية مع الحالتين السابقتين «أي فساد النية قبل العمل أو بعده».

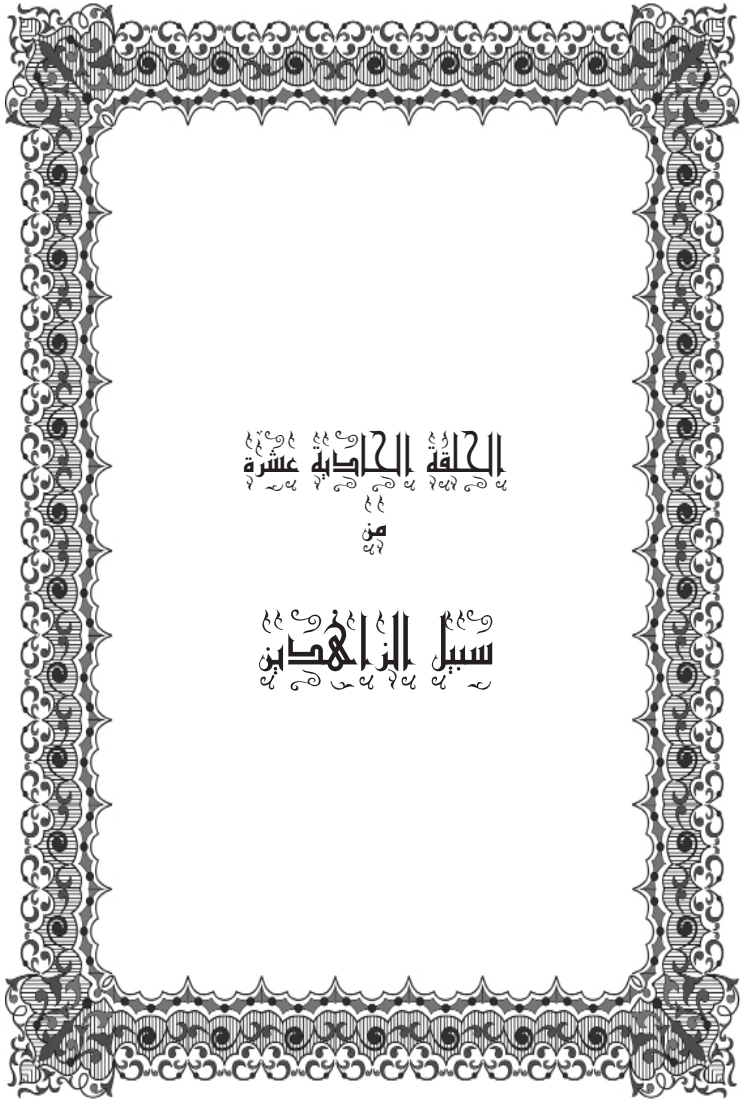

الحلقة الحادية عشرة

من

سبيل الزاهدين

النية اساس العمل

مازال الحديث يدور حول النيه وسيكون حديثنا عن التذبذب في النية فلا يخفى على كل مطلع وذي علم أن النية تتذبذب وتتغير ليس على مدار السنوات والأشهر والأيام والساعات فحسب بل على مدار اللحظات، وربما تغيرت نية بعض الناس في الصلاة الواحدة خمسين مرة.

ترى ما هي الأمور التي تصعد وتنزل بالنية وتُحدث فيها ذبذبات وارتجاجات قد تؤدي بها إلى حالة مشابهة لما يحلّ بقلب المريض؟ إنها الأهواء والشهوات والأنانيات وحب المال والدنيا.

يقول العلامة المجلسي﵀: ومن هذا يظهر سرّ أن أهل الجنة يخلدون فيها بنياتهم لأن النية الحسنة تستلزم طينة طيبة وصفات حسنة وملكات جميلة تستحق الخلود بذلك، إذ لم يكن مانع العمل من قبله فهو بتلك الحالة مهيأ للأعمال الحسنة والأفعال الجميلة، والكافر مهيأ لضد ذلك، وبتلك الصفات الخبيثة المستلزمة لتلك النية الردية استحق الخلود في النار.

كما أن المؤمن ذا الاستقامة مهما مدّ الله في عمره أقام على الطاعة فهذه نيته، والعاصي المصرّ على العصيان مهما عاش في الدنيا استمر على عصيانه، وهذا عزمه، ولنا في هذا الحديث شاهد على ذلك: «**لما أظفر الله تعالى أمير المؤمنين بأصحاب الجمل قال له بعض أصحابه: وددت أن أخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك، فقال**عليه السلام: **أهوى أخيك معنا؟ قال: نعم، قال: فقد شهدنا، ولقد شهدنا في عسكرنا هذا أقوام في أصلاب الرجال وأرحام النساء سيرعف بهم الزمان ويقوى بهم الإيمان**».

إن النية هي الأساس في العمل، وهي إطار العمل، والاختيار بيد الإنسان ولكن بما أنه مكبل ومشدود إلى الأرض فهو بحاجة إلى تأييد ربّاني، نضرب لذلك مثلاً :

إن الذين يتسلقون الجبال يمسكون بحبل طرفه الأعلى مثبت فوق الجبل، فالمتسلق يصعد بعزيمته وعضلاته وفكره وأعصابه ولكنه يحتاج مع ذلك إلى الحبل لأن أدنى زلة منه قد تودي بحياته أو تهشم عظامه إذا هوى، فلا العزيمة وحدها كافية ولا الحبل، لأن من لا عزيمة وقوة له لا يستطيع التسلق وإن كان هناك حبل يعينه، كما أن الإرادة والعزيمة

غير كافيتين لأن الطريق صعب ومحفوف بالمخاطر، وأن أدنى غفلة أو زلّة تنتهي بصاحبها إلى التحطم والهلاك.

وهكذا الحال بالنسبة للنية ونجاحها، فإنها تتطلب إرادة وعزيمة وتصميماً من العبد، وتوكلاً منه على الله تعالى إلى جانب ذلك، فإن التوكل وحده دون إرادة واختيار من العبد لا يكفي، كما أن اعتماد العبد على إرادته وحدها دون مدد من الله غير مضمون النتائج بل ينتهي إلى الفشل لا محالة،فما هو الحبل والمدد الإلهي في طريق تسلق درجات المعرفة والكمال والفلاح؟.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: «**أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، طرف بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فتمسكوا به، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كإصبعي هاتين - وجمع بين سبابتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين سبابته والوسطى - فتفضل هذه على هذه**» وهذا أمر خلاف العادة لابد من التوقف عنده والتأمل فيه، فإن الفرد عندما يريد أن يؤشر باثنتين من أصابعه يستعمل السبابة مع الوسطى، أما أن يجمع بين

السبابتين فأمر نادر، فلابد أن النبيﷺ أراد بذلك أن يُفهم المخاطبين والمسلمين كافة أن القرآن وأهل البيتعليهم السلام عدلان ليس أحدهما أطول من الآخر ولا يتخلف أو يختلف أحدهما عن الآخر، فما من أمر دعا إليه القرآن إلا وجسده أهل البيتعليهم السلام ودعوا إليه، وما من أمر دعا إليه أهل البيتعليهم السلام إلا وجذوره في القرآن.

أجل إن القرآن هو الأساس وأهل البيت هم الفرع، ولذلك أشار النبيﷺ إلى أن أحدهما أكبر من الآخر إلا أنه لا يوجد بينهما أي اختلاف أو افتراق، ولذلك قال رسول اللهﷺ: «**لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض**»، فأينما وُجد القرآن فثم أهل البيتعليهم السلام وأينما كان أهل البيتعليهم السلام فهناك القرآن، فهما حبلان ممدودان من عند الله.

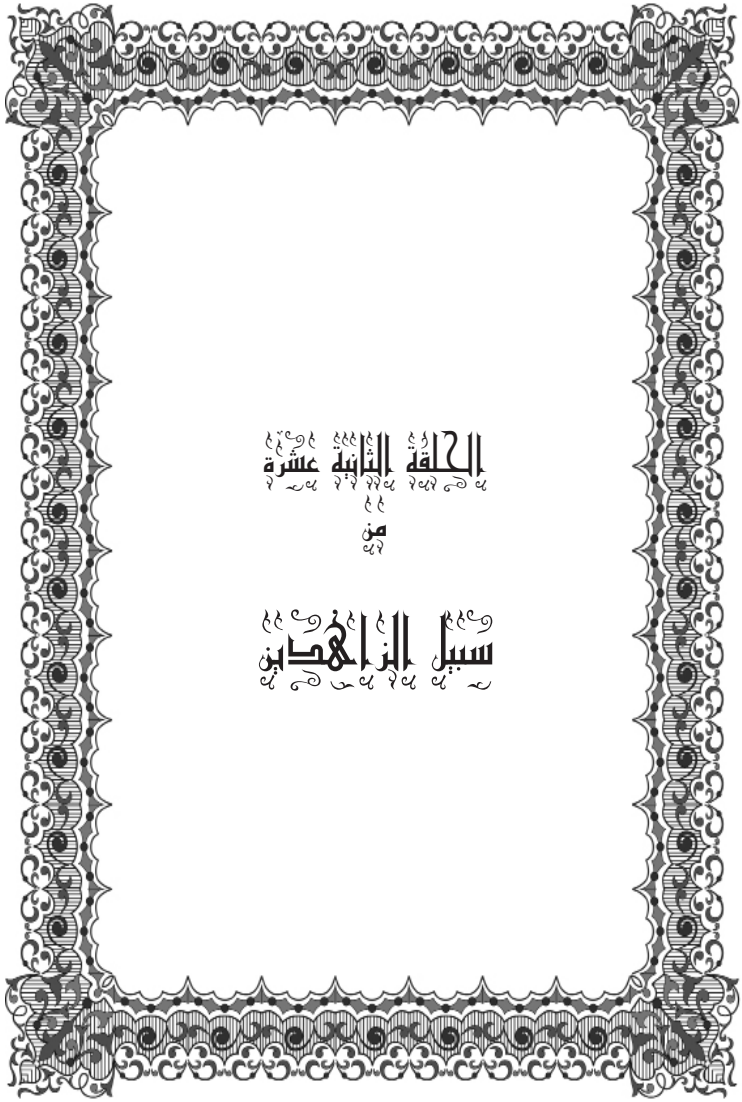

الحلقة الثانية عشرة

من

سبيل الزاهدين

شروط النية

شروط النية وصحتها لأن أشـتراط النية وصحتها في قبول العبادات من الأمور التي قد يُتعب الإنسان نفسه عليها كثيراً ثم يفرط بها ويتلفها بسهولة وربما باندفاع لأنه يرى أنها كانت عديمة الفائدة وإن شكلت كماً ضخماً في الواقع الخارجي.

وان هذه الأعمال الباطلة انما تكون كالهباء المنثوركما ورد ذلك في القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾(١)، حقاً ما آلمه من عذاب يهون عنده كل أنواع التعذيب في دار الدنيا، لأن الإنسان سيرتاح منها بالموت، ولا راحة في العذاب الأخروي سيّان النفسي منه والجسدي، إن المفتاح بيد الإنسان وإن لم يخلُ الأمر من صعوبة ولكنه ممكن، غايته أنه يتطلب إرادة وتوكلاً على الله تعالى والنية تؤطر العمل في كل حال، فهي تؤطر الخطابة والتدريس والبذل والإطعام، وهي تؤطر عمل المرجع والكاتب وإمام الجماعة والقاضي، كما تؤطر العمل في سائر المجالات، ولهذا يجب علينا ان نؤطرأعمالنا بنية خالصة مادمنا على الطريق، نؤمن بالله

(١) الفرقان ٢٣

واليوم الآخر، ونصلي ونصوم لله، ونؤدي سائر الفروض والواجبات، وندرس وندرّس العلوم الدينية ونعظ الناس ويؤلف بعضنا الكتب لهدايتهم أو لبيان معالم الدين، في حين أن بعض الناس بعيد حتى عن هذه الأوليات، ويلزم أن يبذلوا جهداً حتى يتدينوا، إذا كان العمل موجوداً ولله الحمد – وإن كان قليلاً – فلنجعل له الإطار الصحيح، وهذا لا يحتاج إلى وقت، خلافاً للدراسة والتأليف وسائر الأعمال، بل يحتاج إلى تركيز وتصميم وتوسل بالله تعالى وبأهل البيت عليهم السلام، فإن العمل الخالص هو الذي لا تريد أن يمدحك عليه أحد – كما هو مضمون حديث عن أحد المعصومين عليهم السلام – وهذا أمر صعب المنال جداً ولكنه ممكن، بعد لحظات أو ساعات أو أيام أو شهور أو سنين – كلّ حسب عمره – سننتقل إلى الدار الآخرة فنتأسف إن لم نستثمر حياتنا وأعمارنا في العمل بإخلاص، وكان كل همنا أن نتظاهر بأعمالنا وذواتنا.

صحيح أنه ينبغي في بعض الموارد – أو يستحب بل قد يجب – أن يُظهر الإنسان نفسه، وهذا ما نوّهت له الروايات أيضاً، وخير مثال على ذلك: أن تكتب اسمك على الكتاب الذي تؤلفه ليُعرف أنه لك فيؤخذ بما فيه إن كنتَ ممن يوثق بكلامه، فلو لم يكن الشيخ الطوسي أو الشيخ المفيد أو المحقق الحلي مثلاً يذكرون أسماءهم على مؤلفاتهم وكتبهم

فتُعرف أنها لهم لما اعتمِد عليها ولا حصل الاطمئنان بها والرجوع إليها.

ولكن ليكن كتابة اسمك من أجل التوثيق وليس لكي تري نفسك وتظهر ذاتك، وهذا أمر دقيق ينبغي الالتفات إليه جيداً، سيما وأنه متذبذب يتغير بسرعة على أثر نفخ الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

إن هذا الأمر يتطلب انتباهاً مستمراً وتوكلاً على الله سبحانه وتعالى، لأن غفلة لحظة قد تؤدي إلى سقوط مميت كمن يقودون سياراتهم في طرق ذات منعطفات ومزالق خطيرة تتطلب انتباهاً ويقظة وحذراً لكي لا تؤدي غفلة آنٍ إلى خسارة عمر طويل أو البقاء معوقين طيلة حياتهم، وما أكثر الأشخاص الذين كانوا يعيشون في هاوية الشقاء ولكنهم صاروا من خيرة السعداء بفضل تنقية نياتهم، وما أكثر الحالات المعاكسة والعياذ بالله.

إن معنى قول الإمام عليه السلام «**اللهم وفّر بلطفك نيّتي**» يكون كالتالي: إلهي أنت صن واحفظ نيتي، لأني بدون الاعتماد عليك لا أستطيع الصمود ولا يمكنني حفظ نيتي، وإذ صنت بنيتي يا سيدي وحفظتها فلا تدَعها على مرتبتها التي هي عليه، بل أكملها واصعد بها أيضاً، لأن «وفّر» كما قلنا تعني: صن وأكمل، وبما أن النية أمر دقيق بل هي من أدق الأشياء كما أشرنا بالحديث والتركيز عليها، فإن الإمام عليه السلام يستعين

بلطف الله تعالى فيقول «اللهم وفّر بلطفك نيتي» ولم يقل بخلاقيتك أو غفاريتك أو أية صفة أخرى، لأن من معاني اللطف – كما تقدم في الحديث – الدقة أيضاً، فهو يتناسب مع النية إذن، وهذه من دقائق كلمات أهل البيت عليهم السلام.

ورب قائل يقول أن التحكم بالنية شيء صعب، لأنها متذبذبة بسرعة وعلى الدوام، كحركة أهداب العين، فالإنسان بحاجة لمزيد من الدقة لكي يلتفت إليها، كما هو الحال أيضاً في حركة أهداب عيونه أو توالي الحروف الهجائية في كلامه، فهي سريعة جداً حتى لكأنها غير إرادية، لأن الإنسان عندما يفكر في الكلمة وينطقها لا يفكر في حروف الكلمة ولا يقوم بإعدادها بل تتوإلى ارتجالاً إلا إذا أراد المتكلم التركيز على الحروف التي يتلفظها، وهو أمر صعب ولا شك، وهكذا حال النية تقريباً فإنها دقيقة جداً فهي تحتاج إلى اللطف الإلهي – واللطف من معانيه الدقة – وهي صعبة جداً فتحتاج إلى فضل الله تعالى، واللطف تعبير آخر عن الفضل، فالنية تحتاج إلى دقة الله وفضله، ولذلك قال الإمام عليه السلام «**اللهم وفر**» أي صن وأكمل «بلطفك» أي بدقتك وفضلك «**نيتي**» لأنها أساس العمل وإطاره ومانحته لونه وصيغته، ولا فائدة من العمل وإن كان صالحاً إذا لم تكن النية صالحة.

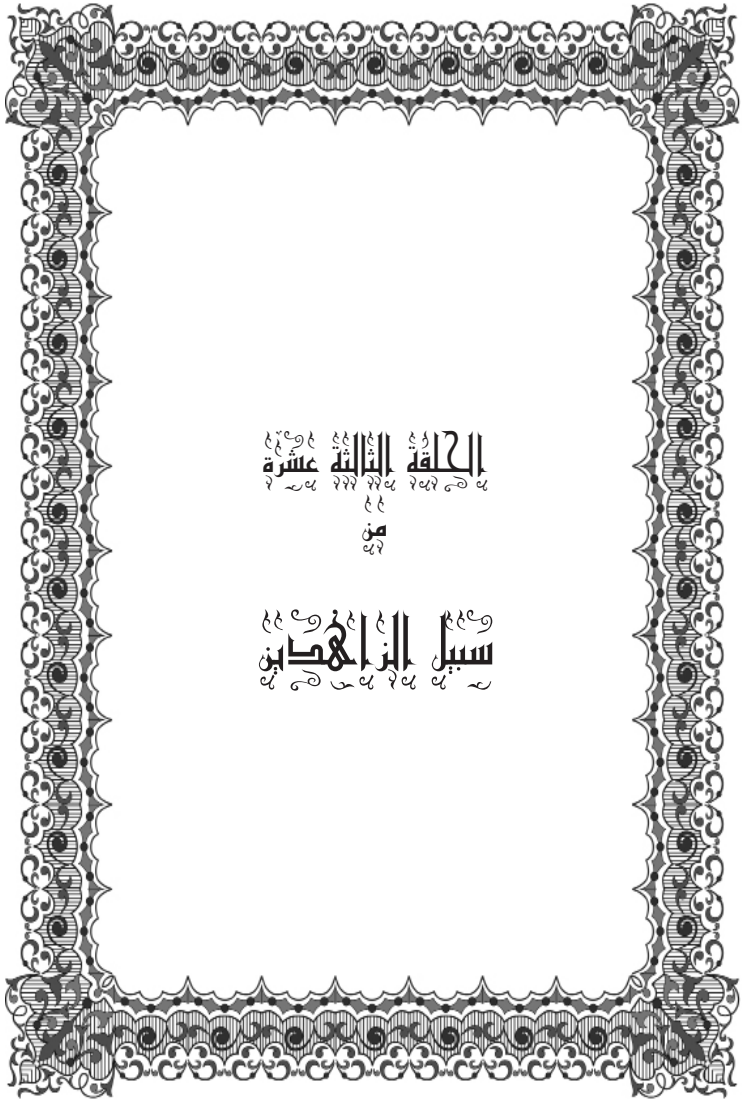

الحلقة الثالثة عشرة

من

سبيل الزاهدين

تصحيح اليقين

يقول الإمام عليه السلام: «**اللهم وفر بلطفك نيتي وصحح بما عندك يقيني**».

الحاجة إلى اليقين الصحيح

إن أعلى درجات العلم عند الإنسان هو اليقين، فقد يسير الإنسان على طريق ما بهدف الوصول إلى غايته، ويكون شاكاً في سلامة هذا الطريق وصوابه، ويصل مع ذلك إلى مرامه ومقصوده إن استعمل الاحتياط ،وقد يسير الإنسان على الظن، فيكون احتمال نجاحه أكبر، ولكن مهما قوي الظن فإنه لا يبلغ مرحلة اليقين، لأن اليقين أعلى مرتبة في العلم يمكن أن يبلغها الإنسان .

بيد أنه حتى اليقين كثيراً ما ينكشف أنه كان خلاف الواقع، فهناك حالات كثيرة من اليقين يتبين أن الإنسان كان مخطئاً فيها،وهذا الانكشاف قد يكون بعد آن وقد يكون بعد مرور أشهر، وقد لا يتحقق إلا بعد مرور سنوات – وهناك أمثلة كثيرة على هذا الأمر – وأحياناً قد لا ينكشف زيف يقين ما إلا في الآخرة والعياذ بالله، وهذه هي الطامة الكبرى.

لا يستطيع الإنسان أن يصحح يقينه بنفسه:ـ

إن اليقين الخاطئ هو ما يصطلح عليه بالجهل المركب، ومن يستطيع أن يصححه غير الله تعالى؟ فإن الإنسان في شدة قوته هو في منتهى الضعف، ولذلك يقول الإمام عليه السلام: «**إلهي أنت صحح بما عندك يقيني**».

لو كان غير الإمام المعصوم عليه السلام يدعو طالباً تصحيح اليقين لقال: اللهم صحح يقيني، ولكن الإمام عليه السلام قال: «**اللهم صحح بما عندك يقيني**»فكان اختياره لكلمة «**بما عندك**» في غاية الدقة والروعة، ومعناه: يا إلهي أنا لا أعرف أسلوب تصحيح اليقين، لأن المرء عندما يكون متيقناً بشيء فمعناه أنه متيقن بصحته فكيف يصححه؟ أجل إن الله قادر على أن يبدل يقين الإنسان من اليقين الزائف إلى اليقين الصحيح.

روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار**».

فمن يعبد عبادة العبيد يدفعه خوفه من النار للإمتثال، فلا يكذب

ولا يظلم ولا يرتكب ما حرّم الله تعالى خوفاً من نار جهنم، ويقوم بالطاعات والواجبات للسبب نفسه، فهو يصلّي ويصوم ويتصدق على الفقراء لتحاشي الوقوع في العذاب، وهذه مرتبة من اليقين أيضاً وإن كان سببها الخوف، ولكنها مقبولة على كل حال، وما أسعد الناس لو التزموا بهذا الحد وبهذا المقدار، ولكن إذا ما قورنت هذه الحالة وهذا المقدار بمن يعبد الله لأنه أهل للعبادة فإنها ستبدو ناقصة أو كالأعور في مقابل من له عينان، فالأعور لا يمثل الحالة الفضلى ولكنه أحسن من الأعمى على كل حال، ولا مناقشة في الأمثال.

وهناك من يعبد الله تعالى طلباً لثوابه وطمعاً في الجنة التي حشوها البركة، نقرأ في الدعاء بعد صلاة النافلة في يوم الجمعة: اللهم اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة أي ملؤها بركة وكل ما في داخلها بركة، فما من شيء فيها إلا وهو مبارك، والبركة تعني النعمة الدائمة ولا توجد نعمة دائمة في الدنيا لأنها لا محالة تنتهي بموت الإنسان مهما طال به العمر، أما الجنة فنعيمها دائم، وأكبر النعم في الجنة رضوان الله تعالى، يقول تعالى: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾(١) أي علم أهل الجنة بأن الله راضٍ عنهم هو من أكبر النعم.

(١) التوبة ٧٢

وهكذا الحال في شعور المؤمن باللذة في الجنة، فإن أكبر مكافأة له هي شعوره برضا الرب تعالى عنه،ولكن تبقى هذه الحالة أيضاً على سموها عبادة تجار – كما عبّر عنها الإمام عليه السلام – وهي أدنى مرتبة من عبادة الأحرار التي لا تنبع من خوف ولا طمع بل من يقين بأن الله تعالى يستحق العبادة.

سئل الإمام زين العابدين عليه السلام : يابن رسول الله إذا كنت لا تعبد الله خوفاً ولا طمعاً فلماذا تعبده إذن؟ فقال عليه السلام – ما مضمونه –: «**أعبده لأنه أهل لأن يُعبد**»،وهكذا حال الأئمة عليهم السلام في علاقتهم بالله تعالى اذ لا يعبدونه خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته وإنما لأنه أهل للعبادة.

اليقين يمنح الطمأنينة :ـ

الإنسان المؤمن بالغيب وبأن المقادير كلها بيد الله تعالى ينعم براحة بال دائمة وطمأنينة واستقرار، لأنه يعتقد أن كل ما يصيبه إنما هو بقضاء من الله وقدر، يقول تعالى: ﴿**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾(١)، ولكن هذا لا يعني أن لا يعمل المؤمن بالشروط والأسباب الطبيعية

(١) التوبة ٥١

التي كتبها الله تعالى أيضاً مبرراً فشله بعد ذلك بأنه مكتوب عليه من الله سبحانه، فلو أن طالباً تقاعس عن الدراسة ولم يصبح عالماً رغم مرور السنين، فهذا لا يمكنه القول إن الله عز وجل كتب عليه الجهل والتخلف.

أجل يمكننا القول إن الله تعالى كتب أن طريق الرقي العلمي هو الجد والاجتهاد، ولابد من سلوكه للوصول إلى الهدف، ولا شك أن من لا يسلك الطريق لا يصل إلى الغاية، والشيء نفسه يصدق على كل مجالات الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية، فكما أن الله تعالى سن قوانين تشريعية مثل ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾(١) وغير ذلك من الفروض والواجبات أو النواهي والمحرمات مثل ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾(٢)وغيرها، فكذلك هنالك لله عز وجل سنن كونية وقوانين تكوينية يستتبع التخلف عنها شقاءً لازماً.

أجل إذا عمل الإنسان بالأسباب الظاهرية ولم يوفَّق حق له القول:

---

(١) البقرة ١٨٣

(٢) المائدة ٣

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾(١).

(١) التوبة ٥١

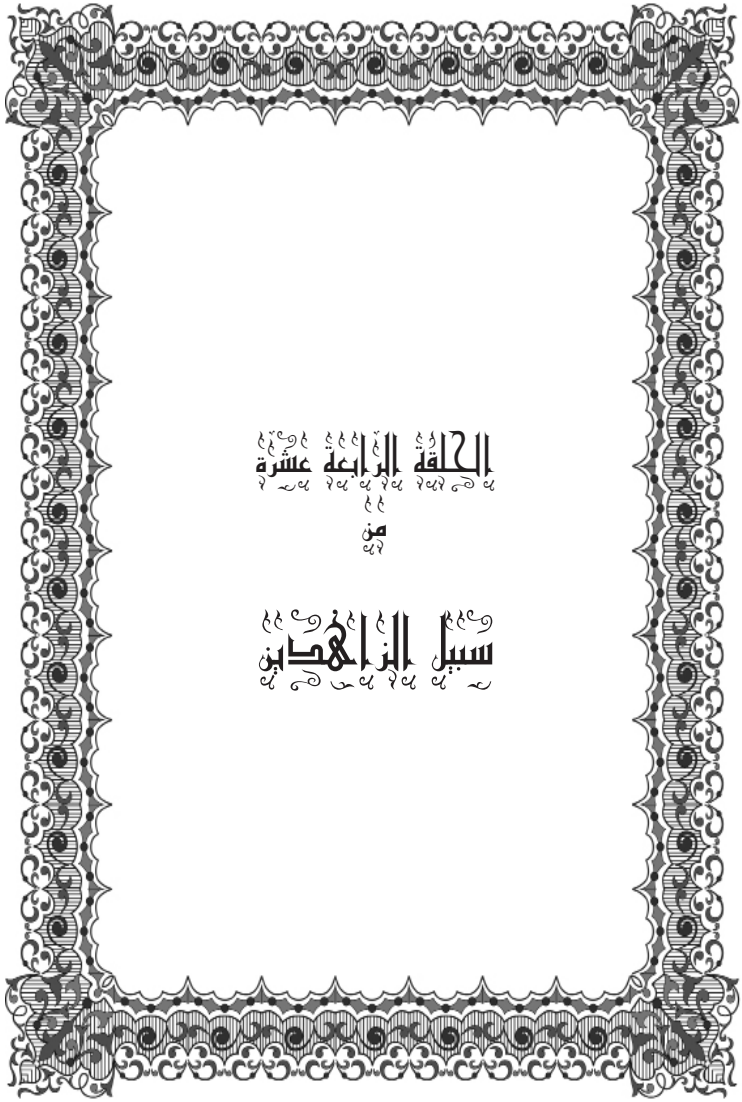

الحلقة الرابعة عشرة

من

سبيل الزاهدين

تكملة تصحيح اليقين

لا يوجد أحد غير الله عز وجل، ولا طريق لذلك إلا الدعاء! قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾(١).

إن الإنسان الذي لا يدعو الله تعالى لا يستحق العناية الإلهية، ومن لا يستحق العناية فليس من الحكمة أن يُعطاها، إن الطفل مهما كان عزيزاً عند أبويه فإنهما لا يعطيانه مبلغا كبيراً من المال ليلعب به مع الصبية في الطرقات، لأنه غير مدرك لقيمته، وقد يباغته شخص ويسرقه منه. فإذا كان الأبوان حكيمين فإنهما لا يعطيانه المال مهما بكى وألحّ، إذ ليس من الحكمة إعطاؤه. وهكذا الإنسان غير المستحق لعناية الله تعالى، ليس من الحكمة أن يعطاها، ولذلك يبقى على حاله ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾(٢).

التاجر يركض ليل نهار خلف المال وطالب العلم خلف العلم أما الطفل فلا يركض خلف العلم ولا خلف المال لأنه لا يعرف قيمة العلم

(١) الفرقان ٧٧

(٢) الفرقان ٧٧

ولا قيمة المال!

ولذلك نرى الأئمةﷺ يتضرعون إلى الله عزّوجل في دعائهم، تضرعاً لا نبلغه، وهم الذين خلقهم الله تعالى في الذروة وطهرهم من كل رجس مادي ومعنوي، وهم يعلمون أحسن منا أنهم أكرم البشر على الله تعالى.

والروايات في هذا المجال كثيرة وما وصلنا لا يشكل إلاشيئا يسيراً لأنهمﷺ كانوا يعبدون الله في الخفاء أكثر من العلن، وهذا هو المتوقع ممن يعبد الله عز وجل لأنه وجده أهلاً للعبادة.

وهكذا الحال مع المعصومينﷺ فإنهم لما رأوا أن الله أهل للعبادة، بالغوا في عبادته ودعائه والتضرع إليه، وما ظهر لنا في هذا المجال لا يمثل إلا القليل القليل مما لم يظهر أو لم يُنقل.

بم يصحح اليقين؟

الظاهر من عبارات الإمام السجادﷺ في هذه الجمل أنه عندما طلب توفير النية ذكر سببه أيضاً وهو لطف الله تعالى فقال: «**اللهم وفر**

بلطفك نيتي»، وعندما طلب استصلاح الفاسد اعتبر أن ذلك لا يمكن إلا بقدرة الله تعالى فقال: «**واستصلح بقدرتك ما فسد مني**»، ولكنه عندما طلب تصحيح اليقين، وهو كما قلنا أهم ما يبني عليه الإنسان العاقل حياته – فهو أهم شيء عنده وهو أساس كل أساس وجذر كل جذر– ههنا أوكل الإمام حتى تعيين السبب والوسيلة إلى الله، فلم يقل بلطفك أو قدرتك أو أي صفة من صفات الله تعالى بل قال: «بما عندك» أي بالصفة التي تراها أنت يا إلهي، ما يكشف أن موضوع تصحيح اليقين مشكل جداً، لأن الإنسان إذا كانت نيته غير صالحة فهو يعلم بذلك بل الإنسان على نفسه بصيرة وإذا كان أمره فاسداً فهو أيضاً عالم بذلك، ولكن أنى له أن يعلم أن يقينه غير صحيح وهو على يقين!

ولفظة« ما»الموصولة – كما نعلم – تستعمل للعاقل وغير العاقل، للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث على السواء، فهي أعم لفظة.

ولا يقال إن الإمام لم يذكر السبب هنا لأنه قد لا يكون بمستوى أفهامنا.

لأنه﵇ ليس بصدد التفسير والبيان لنا، بل هو في حالة سؤال من

الله تعالى.

المطلوب تصحيح اليقين في الدنيا:ـ

إن تصحيح اليقين بعد انكشاف الأمر في الآخرة لا يجدي بل المطلوب أن ننتبه إلى واقع حالنا قبل الموت والآخرة، فلا نكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾(١) فهؤلاء سيكتشفون يوم القيامة أن عملهم كان هباء منثوراً!.

أرأيت إلى الهباء؟! إنها الذرات المتطايرة في الهواء التي لا يمكن مشاهدتها بالعين المجردة ولكن إذا دخلت غرفة ما في النهار ضحىً وكان فيها ثقب تدخل منه أشعة الشمس إلى الغرفة فسترى ذرات تتطاير في نور الشمس المتدفق إلى الغرفة.. هذه الذرات المتطايرة هي الهباء، إنها تتطاير بسرعة مع أنه لا رياح قوية طبيعية أو صناعية تدفعها، وباب الغرفة قد يكون مسدوداً أيضاً، ولا حاجة لأن تنفخ حتى تتطاير هذه الذرات وتتناثر بل يكفي أن تضع كفك في موضع منها لترى كيف

(١) الفرقان ٢٣

تفرّ الذرات جانباً، فحركة الأصابع وحدها تموّج الهواء وتجعل الذرات تتطاير، يقول الله تعالى عن أعمال الكفار أنها كالهباء المنثور.

والهباء منثور بطبعه، فوصف الله عز وجل أعمال الكافرين بأنها كالهباء المنثور زيادة في بيان تفاهتها وعدميتها.

صحيح أن الآية في سياق بيان عمل الكفار، ولا تشمل المؤمنين – إن شاء الله – ولكن هناك أحاديث مستفيضة عن رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ومنها: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤمنِينَ عَلِيّاً عليه السلام أُتِيَ بخَبِيصٍ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَهُ، قَالُوا: نُحَرِّمُهُ؟ قال: «**لا ولكني أَخْشَى أَن تَتَوَّقَ إليه نَفْسي،ثُمَّ تَلا:﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّباتكُمْ في حَياتكُمُ الدُّنْيا﴾**(١)»، فإذا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام يخشيان أن يحرما من بعض حلاوات الآخرة بسبب انسياقهما لحلاوة دنيوية وإن كانت محللة فيكونا مشمولين – ولو بنسبة مهما كانت ضئيلة – للآية المباركة، والنبي صلى الله عليه وآله أشرف الأولين والآخرين، والإمام أمير المؤمنين سيد الوصيين وخليفة رسول رب العالمين، فكيف لا نحس نحن أنه قد نُشمل بالملاك نفسه لقوله تعالى ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا**

(١) الأحقاف ٢٠

﴿عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾(١) بسبب اليقين الخاطئ الذي انطوينا عليه والعياذ بالله؟.

إن الشيطان جاهز دائماً، وبمجرد ما يرى الإنسان يخرج من الإفراط يدفعه نحو التفريط، وبالعكس أي ما إن يراه خرج من التفريط حتى يسوقه إلى الإفراط.

ولذلك لا ينبغي لنا أن نوسوس في كل يقيننا لمكان تأثرنا بهذا المقطع من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام، ولكن ينبغي لنا أن نعرف أيضاً أن الشيطان لا يدخل إذا ما وجد الأبواب موصدة في وجهه، لأنه لا يمكن أن يدخل من الباب الموصدة – كما روي – وإنما الشيطان كاللص لا يستطيع أن يقتحم الدار إذا كانت الأبواب مقفلة،والشيطان لا يتسلّق عادة بل يأتي من الباب المفتوحة مهما كانت الفتحة صغيرة، فهو يدفع بقوة ليفتح الباب غير المقفلة وغير المسدودة بإحكام. فلنكن يقظين دائماً ولا نترك مجالاً ولا فتحة يستغلّها الشيطان.

(١) الفرقان ٢٣

الحلقة الخامسة عشرة
من
سبيل الزاهدين

الصلح

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**واستصلح بقدرتك ما فسد مني**» ان في هذه الفقرة من الدعاء ثلاث ملاحظات:

استصلح بمعنى أصلح:

الاستصلاح: طلب الصلاح، أي: أصلح، وإلا لا معنى لأن يقول العبد لله تعالى: إلهي اطلب صلاح ما فسد مني، إذن يكون لفظ «استصلح» في هذه الجملة بمعنى «أصلح»لأنه أنسب بالمقام، وهذا النوع من الاستعمالات الأدبية ليس عزيزاً في اللغة ولا في لسان الأدعية والروايات.

الإصلاح بحاجة إلى قدرة الله تعالى:

في هذا الدعاء يطلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يتدارك أمر الإصلاح بقدرته. وهذا الطلب يوحي أن هذا المجال «أي إصلاح ما فسد من الإنسان » صعب جداً، بحيث يتطلب تدخل القدرة الإلهية.

فالإنسان معرَّض للفساد فقد يقع فيه وقد لا يقع، والكلام هنا عن فعلية الفساد والوقوع فيه، لأن الإمام يقول: «ما فسد مني»لا ما يقتضي أن يفسد، وليس كل فاسد يمكن إصلاحه بسهولة، علماً أن كلمة «ما»الموصولة في قوله﵇ «**ما فسد مني**» تفيد العموم والسعة والشمول، فتشمل ما فسد من أمور الدنيا والآخرة، ومن البدن والروح، ومن المسائل المالية والعائلية والنفسية والاجتماعية وغيرها. فلا يقوى الإنسان على إصلاح ما فسد منه من دون الاعتماد على قدرة الله تعالى وتوفيقه، فكلّ منا يمكنه أن يكون من خير الناس، كما يمكن أن يكون من شرّ الناس – والعياذ بالله –، وهؤلاء الأشرار الموجودون في المجتمع وبقوا كذلك حتى آخر عمرهم كانوا أناساً أمثالنا، ولكنهم لم يستعينوا بقدرة الله تعالى لإصلاح ما فسد منهم، فاستمروا على ما هم عليه، إن إصلاح الفاسد بحاجة إلى الدعاء، ولذلك يقول الإمام﵇ «**واستصلح بقدرتك ما فسد مني**».

لزوم العمل إلى جنب الدعاء:

قد يجري الإنسان ألفاظ الدعاء على لسانه فقط، فيكون دعاؤه سطحياً. وقد ينطلق الدعاء من أعماق الإنسان ، وهذا أفضل من الأول

لاشك، ولكنه لا يكفي أيضاً، بل لا بد إلى جانب الدعاء والخشوع أن يسعى الإنسان بنفسه لتحصيل ما يطلب من الله مستفيداً مما أعدّ الله سبحانه وتعالى.

وخير من أعدّ الله تعالى في هذا الوجود هم محمد وأهل بيتهﷺ فلنقتدِ برسول اللهﷺ.

يقول الله سبحانه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾(١) والأسوة هو من يُتأسى ويُقتدى به.

فإذا كان المقتدى به حسناً كله، فإن الاقتداء به يكون حسناً على كل حال، أما إذا اقتدى الإنسان بغير المعصوم فقد يكون اقتداؤه حسناً وقد لا يكون كذلك في بعض الأحيان، لأن غير المعصوم يصدر منه ما ليس بالحسن وإن كان قمة في الفضائل، مادام غير معصوم. فإذا قُيّد الاقتداء بالحسن فسيكون هذا القيد احترازياً، أما هنا في الآية المباركة فالقيد ليس احترازياً، لأن القدوة معصوم فلا يتصور أن يصدر منه إلا الحسن.

---

(١) الأحزاب ٢١

والمخاطب في التأسي والاقتداء في قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ هم المسلمون باعتبار أنهم يعتقدون برسالة النبيﷺ، وقد يكون المخاطَب البشر كلهم، وقد يراد المعنيان، وهذه نكتة تفسيرية حَريّةٌ بالتحقيق.

أما قوله تعالى ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ فهو - حسب الاصطلاح النحوي - بدل لقوله تعالى « لَكُمْ»، فيكون معنى الآية أن رسول اللهﷺ أسوة لمن يرجو الله واليوم الآخر، والمقصود لمن يرجوها حقاً وليس لمن يقول «أرجو» بلسانه فقط.

من كان يريد أن يوجد أو يقوّي في نفسه روح الفضيلة والخلق الحسن فليقتدِ برسول اللهﷺ لأنه كلّه فضائل وكمالات قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١)، فنظره فضيلة وكلامه فضيلة ومشيه فضيلة ونومه فضيلة بل كله فضيلة. كل شيء من رسول اللهﷺ حسن وكل شيء منه فضيلة.

ونكتفي هنا بذكر فضيلتين من سيرة رسول اللهﷺ يجدر بأهل العلم أن يتأسوا بهما، فطالب العلم الديني قد يكون في المستقبل مرجعاً

(١) القلم ٤

أو خطيباً أو مدرساً، فعليه من الآن أن يصمم على الاقتداء برسول اللهﷺ خصوصاً في هاتين الفضيلتين اللتين سنذكرهما عنهﷺ:

كان رسول اللهﷺ أميناً على أموال الأمة « **أصيب رسول اللهﷺ عند الوفاة بحمى شديدة حتى أن من كان يلمس ثوب رسول اللهﷺ كان يحس بحرارة الحمى لشدّتها، فكان لا يستطيع مزاولة أعماله، وكانت عنده دراهم ودنانير قليلة أوصى بأن يُتصدق بها على الفقراء، ثم غفا إغفاءة، انتبه بعدها وسأل القوم: هل أعطيتم الدراهم؟ قالوا: لا،فظهر الغضب على وجهه وقال: آتوا بها، فتصدق بها ولم يؤخرها وقال: لا أحبّ أن ألقى الله وهذه الصدقة عندي**».

فلقد كانﷺ يعير اهتماماً لهذه الدراهم القليلة لئلا تبقى وتتأخر في الوصول إلى أصحابها، مع أنهﷺ كان يعطي الأباعر بالألوف، بل أنهﷺ تصدق في يوم واحد بألوف الأباعر، ولم يكن رسول اللهﷺ بالشخص الذي لم يرَ المال في حياته، فما أضخم الأموال التي كانت بين يديه، ولكننا نراه مع ذلك يولي للأمانات كلّ هذه الأهمية مهما قلّت قيمتها. فالظاهر أن هذه الدراهم كانت أمانة عند رسول اللهﷺ حتى يعطيها الفقراء ولم تكن ملكاً له – وإن كان كل ما في الوجود هو ملك

لرسول الله ﷺ، وهذا بحث واسع جداً ليس له حصر مع هذه الأسطر القليلة.

اما الفضيلة الثانية فتأتي في الحلقة القادمة.

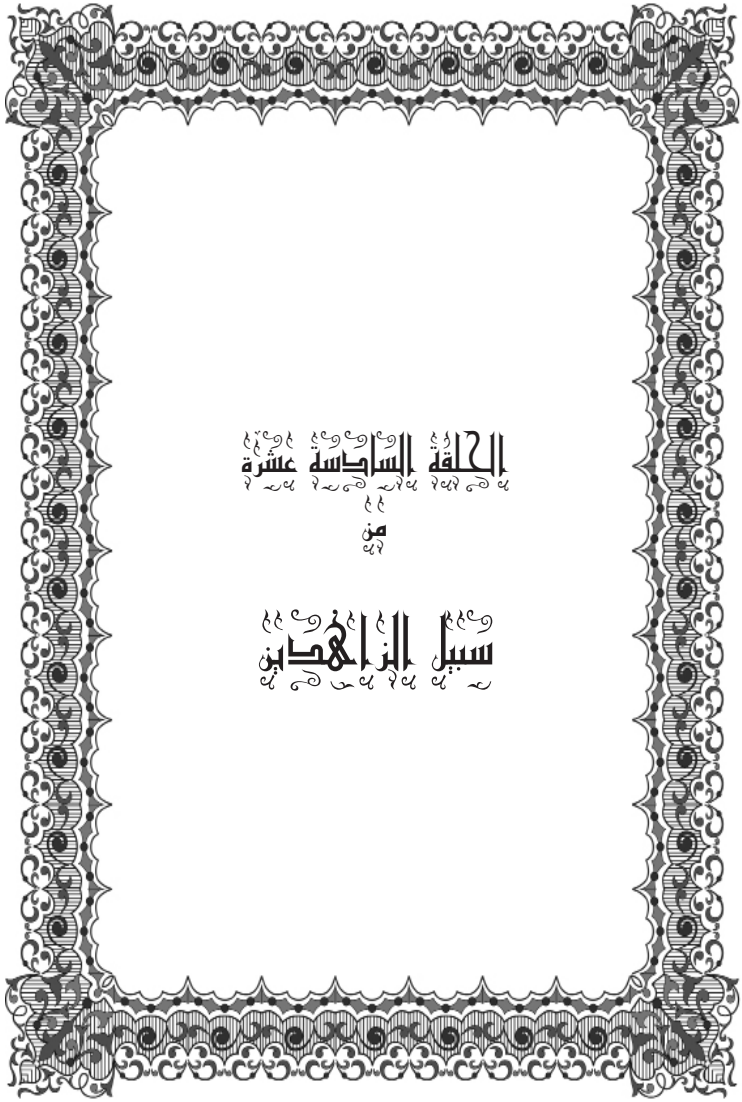

الحلقة السادسة عشرة

من

سبيل الزاهدين

تكملة فضائل الرسول ﷺ

كان الحديث في الحلقة الماضية عن فضيلة من بعض فضائل رسول الله ﷺ سنتحدث عن الفضيلة الثانية وهي:-

الزهد في الدنيا وعدم جمع المال

روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام قال:

«لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة دعا العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال للعباس: يا عم محمد ﷺ تأخذ تراث محمد ﷺ وتقضي دينه وتنجز عداته(١)؟ فردّ عليه وقال: يا رسول الله أنا شيخ كبير كثير العيال قليل المال، من يطيقك وأنت تباري الريح؟ قال: فأطرق ﷺ هنيئة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث رسول الله ﷺ وتنجز عداته وتؤدي دينه؟فقال: بأبي أنت وأمي أنا شيخ كبير كثير العيال قليل المال من يطيقك وأنت تباري الريح؟ فقال رسول الله ﷺ: أما أنا سأعطيها من يأخذ بحقّها، ثم قال: يا علي يا أخا محمد أتنجز عداة محمد

(١) والعداة: الوعود أو الأموال التي كان النبي ﷺ قد وعد بها بعض الناس ولم ينجزها حتى وفاته

وتقضي دينه، ولاشك أنها لم تكن ديوناً اقترضها لنفسه، بل لقضاء حوائج الآخرين وتأخذ تراثه(١)؟،

قال: نعم بأبي أنت وأمي، قال: فنظرتُ إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختّم بهذا في حياتي، قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعه علي عليه السلام في إصبعه اليمنى فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بلال عليّ بالمغفر(٢) والدرع والراية وسيفي ذي الفقار وعمامتي السحاب(٣) والبرد(٤) والأبرقة(٥) والقضيب».

(١) والتراث: الإرث وهو اسم للأموال التي يتركها الشخص عند موته، ولا يكون الإرث إلا بعد الموت، ولذلك فالتعبير هنا مجاز مشارفة وأول، باعتبار أنه صلى الله عليه وآله مشرف على الموت.

(٢) وهو ما يلبسه الدارع في الحرب على رأسه من الزرد ونحوه ويوضع تحت القلنسوة عادة

(٣) وهي عمامة سوداء كانت للنبي صلى الله عليه وآله

(٤) الثوب

(٥) حبال ملوّنة يفتلونها فيكون لها بريق ولمعان يتمنطقون بها في المعركة ،أي يشدونها على المنطقة وهي وسط البدن

«يقول الراوي:» فو الله ما رأيتها قبل ساعتي تيك(١) يعني الأبرقة، كادت تخطف الأبصار فإذا هي من أبرق الجنة، «والدليل على ذلك قوله» فقال: «**يا علي إن جبرئيل أتاني بها فقال يا محمد اجعلها في حلقة الدرع واستوفر بها مكان المنطقة، ثم دعا بزوجي نعال عربيين إحداهما مخصوفة والأخرى غير مخصوفة والقميص الذي أسري به «إلى السماء» فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال رسول الله ﷺ: «يا بلال علي بالبغلتين: الشهباء والدلدل، والناقتين: العضباء والصهباءوالفرسين: «الأول:» الجناح الذي كان يوقف بباب مسجد رسول الله ﷺ لحوائج الناس يبعث رسول الله ﷺ الرجل في حاجته فيركبه، و«الفرس الثاني:» حيزوم وهو الذي يقول أقدم حيزوم، والحمار اليعفور. ثم قال: يا علي اقبضها في حياتي حتى لا ينازعك فيها أحد بعدي فذكر امير المؤمنين عليه السلام ان أول شيء من الدواب توفي عفير ساعة قبض رسول الله ﷺ قطع خطامه ثم مر يركض حتى اتى بئر بني خطمة بقباء فرمى بنفسه فيها فكانت قبره ».**

وروي ان أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ان ذلك الحمار كلم رسول الله ﷺ**

(١) أي تلك

فقال: بابي انت وامي ان ابي حدثني عن ابيه عن جده عن ابيه انه كان مع نوح في السفينة فقام اليه نوح فمسح على كفله ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار».

قبل التأمل في الرواية والاعتبار والتأسي واستلهام الدروس ههنا ملاحظة قد تستوقف المطالع للرواية وهي نوع المعاملة التي تمّت بين الرسولﷺ والإمامعليه السلام، هل كانت بيعاً أم صلحاً أم ماذا؟

الظاهر أنها لم تكن معاملة أصلاً، بل أن النبيﷺ ملَّك أميرَ المؤمنين ما عنده هبة غير معوّضة قبل وفاته لئلا يقال إنها كانت إرثاً فينازعوه عليها، وطلب منه في الوقت نفسه طلباً أخوياً أن ينجز وعوده ويفي ديونه بالغة ما بلغت.

أما درس الرواية فالملاحظ من خلال مفرداتها أن رسول اللهﷺ مات مديوناً، وهذه مسألة عديمة النظير في التاريخ - باستثناء المعصومين وسيدهم رسول اللهﷺ - وهي أن يكون الشخص حاكماً أعلى تجبى إليه الأموال الكثيرة في كل مناسبة ومن كل جهة ثم يكون مديوناً عند وفاته، فيوصي بإيفائها.

لقد كان رسول اللهﷺ رئيس دولة وقائد أعظم تغيير وصانع أمة وأشرف الأولين والآخرين، وكانت الأموال تجبى إليه «بل كل ما خلق الله ملك له»، ولكن تكون كل تركته من الدنيا ما ورد في الرواية، ثم يكون مديوناً مع ذلك فيوصي الإمام أمير المؤمنينعليه السلام بأن يأخذ تركته ويوفي ديونه!

فعلى طلبة العلوم الدينية والناس كافة الذين ينوون السير على خطى رسول اللهﷺ أن يكونوا كمن سبقهم من السلف في التأسي بسيرة الرسولﷺ في كل المجالات ومنها هذا المجال.

وهذا ليس بالأمر الهيّن، بل يحتاج إلى تصميم وإرادة وتوكل على الله، وترويض للنفس، ولا تنكشف صعوبة هذا الأمر إلا عندما تتدفق على الشخص أموال الله وعباده، وهناك يُعرف إن كان خليفة رسول اللهﷺ حقاً! لقد قال رسول اللهﷺ: «**اللهم ارحم خلفائي**»فقيل: يا رسول الله من هم خلفاؤك؟ فقالﷺ: «**الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي**».

لذلك علينا أن نتأسى برسول اللهﷺ، وبخاصة في هاتين النقطتين، وهما:

١. أن نكون أمينين على أموال الله وعباده.

٢. أن لا نجمع المال لأنفسنا إذا كنا في موقع المسؤولية.

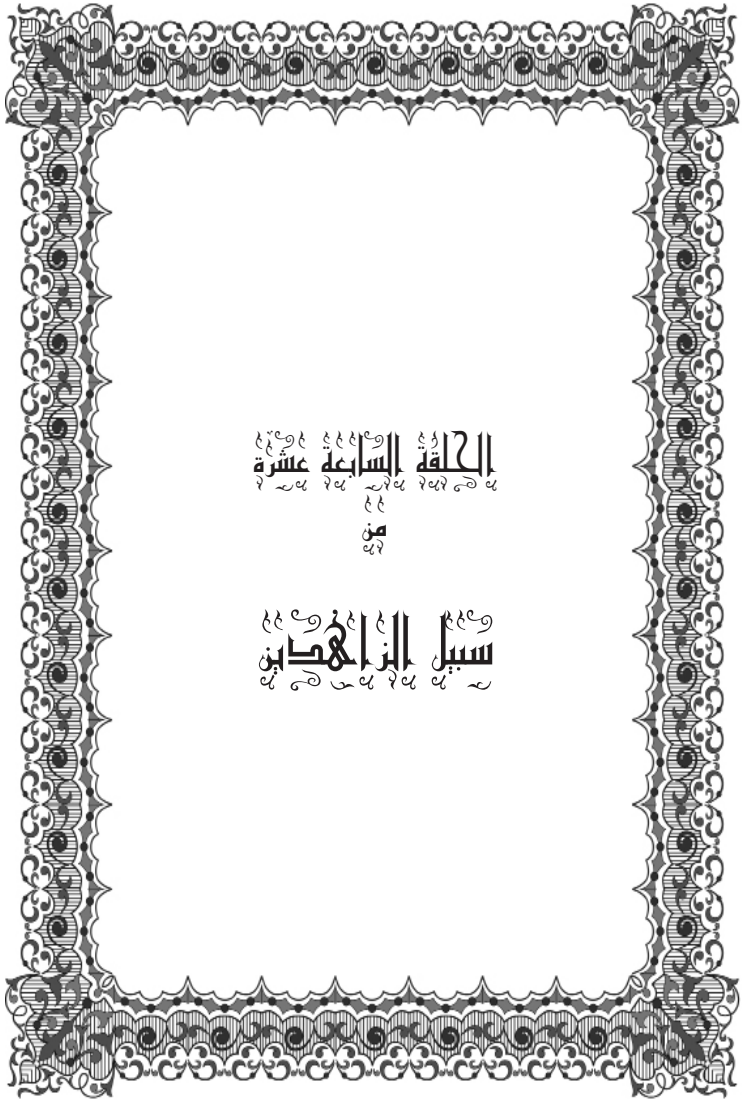

الحلقة السابعة عشرة

من

سبيل الزاهدين

مسؤوليات الإنسان

من كلام الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاءه مكارم الأخلاق: «**اللهم صلّ على محمد وآله، واكفني ما يشغلني الاهتمام به، واستعملني فيما تسألني غداً عنه**».

ان مسؤوليات الإنسان نوعان:

هناك أمور ومسؤوليات يجب أن يقوم بها الفرد بنفسه، كالصلاة والصوم، فلا يمكن لشخص أن ينيب من يقوم بها عنه وهو حي،وهناك أمور تجب على الفرد ولكن لا يشترط فيها أن يقوم بها بنفسه، بل يكفي منه أن يدفع لتحققها في الخارج، ونضرب لها مثالاً:

هب أن شخصاً قدم من بلاد نائية إلى الحوزة العلمية من أجل تلقي العلوم الدينية والحصول على الاجتهاد الفقهي مثلاً، ليوفَّق بعد سنوات لنشر الدين وخدمة المتدينين في بلده، وبينا هو منغمس في الدراسة ومترقب للإمتحانات إذ يأتيه الخبر أن أباه قد ابتلي بمرض ما وأنه بحاجة ماسة إلى دواء يجب أن يبحث عنه مهما كلف الأمر ويوصله إليه بأسرع ما يمكن.

ههنا لا شك ولا شبهة أن هذا الأمر سيشغل بال هذا الطالب واهتمامه، لأنه أوجبُ عليه حتى من تحصيل العلم ومن كل العبادات، ولكن لا شك أيضاً أن المطلوب منه تحقيق الأمر وإيصال الدواء المعيّن إلى أبيه على أي نحو كان، حتى لو استأجر شخصاً أو التمس من صديق أن يقوم بذلك ولا يشترط أن يقوم الطالب بالبحث عن الدواء وحمله إلى بلاده وأبيه بنفسه.

في مثل هذه الحالة إذا كان الفرد حائراً لا يجد من يكلفه للقيام بهذه المهمة، فهو من جهة يشعر بأن ما عرض له هو أمر لابد من استجابته لأنه واجب عليه شرعاً وعرفاً وعقلاً وعاطفة، ومن جهة أخرى يرى أنه إن قام بالواجب بنفسه فسوف يتأخر عن دراسته ربما لمدة عام كامل.. وبينما هو مهتم ومنشغل في هذا الأمر ومتأثر لأنه سيتأخر عن دراسته، يتجه إلى الله تعالى فيقول: إلهي أنت أدرى بنيتي وبحالي فاكفني هذا الأمر الذي يشغلني الإهتمام به عن أمر هو الآخر محبوب لديك وهو تلقي العلم الديني الذي قطعت من أجله كل هذه المسافات، فقيض لي من يكفيني أمر الدواء حتى لا أنشغل بسببه عن دراستي.

فقد يتفق أن يلاقى شخصاً من أبناء منطقته قد حجز تذكرة السفر ولم يبق له من الوقت سوى ساعتين، فيوافق على إيصال الدواء، وقد

يغفل لحظة فلا يراه وهو يمر من أمامه فيضطر لأن يقوم هو بالمهمة، ويتأخر عن درسه وتحصيله، والأمر في الحالين متعلق بإرادة الله تعالى، ولذلك ينبغي للإنسان أن يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى في مثل هذه الحالات، وما أكثرها في الحياة وفي مختلف المجالات العائلية والفردية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية والصحية والنفسية، فإن الإنسان – كل إنسان – مبتلى طيلة حياته بطريقين – في الغالب – بينهما تزاحم وكلاهما مهمان ولكن أحدهما على النحو الأول أي الذي لابد من أن يقوم الشخص بنفسه به كالدراسة وطلب العلم، «فهل يمكن أن تنيب شخصاً في الدراسة عنك ثم تصير عالماً؟ لا يمكن هذا بالطبع»، ولكن هناك أمور يمكن لشخص آخر أن يقوم بها بالوكالة.

وبما أن الله تعالى مسبب الأسباب، يطلب منه الإمام عليه السلام أن يكفيه الأمر الذي يشغله بأي نحو شاء، حتى يتفرغ هو للأمور الضرورية التي لابد من قيامه بشخصه بها، ولا يبقى منشغلاً عنها بالأمور التي يمكن لغيره أن يقوم بها، فضلاً عن الأمور التي لم يُخلق من أجلها ولا يُسأل عنها يوم القيامة.

فبعد أن طلب الإمام عليه السلام من الله تعالى أن يكفيه ما يشغله الاهتمام به، توجه إليه بالسؤال مباشرة أن يعينه لكي يصرف الوقت الذي حصل

له بسبب ذلك في الأمور التي سيُسأل عنها يوم القيامة.

وإذا ما عرفنا أن الدعاء وحده لا يكفي بل لابد للإنسان من السعي نحو ما يدعو ويسأل من الله ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾(١)، كما أن السعي من دون الدعاء لا ينفع ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾(٢)، إذا عرفنا ذلك تبين لنا أن علينا التفكير والسعي – إلى جانب الدعاء – دائماً لأن نصرف أعمارنا في ما خلقنا الله تعالى من أجله وما هو سائلنا غداً عنه.

ورب سائل يسأل :عمّ نُسأل يوم القيامة؟

معلوم ما هي المسائل التي يجب أن نُعنى بها والتي سنُسأل عنها غداً. فلن تُسأل غداً لماذا لم تأكل غداءك حاراً؟ أو لماذا لم يكن معه المشهيات والمطعمات؟ ولا لماذا لم تأكل الأطيب وتلبس الأنعم وتركب الأسرع وتختار ما هو أغلى للعيش وأحلى؟

يقول الإمام عليه السلام في دعائه: «**اللهم استعملني فيما تسألني غداً عنه**» أي وفقني لأن أتفرغ للأعمال التي ستسألني عنها غداً. ويبدأ الغد عند

(١) النجم ٣٩
(٢) الفرقان ٧٧

كل إنسان من ساعة موته ويستمر حتى الآخرة والدار التي يقول الله تعالى عنها ﴿**وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

هناك حديث عن الإمام الرضا عليه السلام يقول فيه: «**لو وجدتُ شاباً من شبّان الشيعة لا يتفقه في دينه لضربته**»، والفقه في تعابير أهل البيت عليهم السلام أوسع وأشمل من المعنى الاصطلاحي المعاصر للفقه، لأنه في الاصطلاح الأخير هو العلم الذي يعنى بالأحكام الفرعية والعملية، أما في اصطلاح الروايات فيقصد به تعلّم الإسلام الذي تمثل الأحكام العملية جزءاً منه.

كما أنّ قول الإمام عليه السلام «**لضربته**» تعبير كنائي، وإلا فلم يعهد أن الإمام الرضا أو أحداً من الأئمة عليهم السلام ضرب أحداً لذلك، وإنما استخدم الإمام عليه السلام هذا التعبير كناية عن أهمية هذا الأمر وأنه مما يُسأل عنه العبد يوم القيامة

ومما يسأل عنه العبد المسلم يوم القيامة معرفة سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله والاقتداء به والعمل وفق سيرته، ومن الواجبات على المسلم أيضاً الدفاع عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله. فما أكثر المتطاولين على قداسته صلى الله عليه وآله والمفترين الأكاذيب بحقّهِ.

إن معرفة سيرة رسول الله ﷺ وتاريخ حياته وسنته هي من أهم ما نُسأل عنه يوم القيامة، لأن الله تعالى يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾(١)فكيف يتسنى للمرء أن يقتدي ويتأسى بالرسول ﷺ وهو لا يعرف سيرته وسنته، وكيف كان يتعامل مع أصحابه وكيف واجه أعداءه، وكيف تصرف مع المنافقين، وما كانت معاملته مع زوجاته؟ وهكذا في سائر المعاملات، ومنها علاقته مع الله تعالى وكيف كان يعبده؟ وهكذا أكله وشربه ونومه ويقظته وصلاته وصيامه.

لقد كان الرسول ﷺ قمة في الأخلاق حتى أن الله تعالى مدحه بنفسه وقال ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ فكيف يُتهم بما يندى له الجبين؟.

ويصرّح القرآن الكريم في مورد واحد قد يكون استثنائياً بخيار ضرب المرأة – ولكن لم يُسمع أن النبي ﷺ صدر منه هذا الفعل بحق أي من زوجاته التسع مع أنه كان فيهن من هي من خيرة النساء بل الناس جميعاً كخديجة! وكان منهن المتوسطات، وكان فيهن من هن أشرّ النساء، على ما صرّح به القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى:

---

(١) الاحزاب ٢١

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(١) فهما مالتا عن النبيﷺ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾(٢) أي تشدّ إحداكما ظهرها بالثانية وتتآزران ضدّهﷺ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾(٣). ومع كل ذلك لم يُنقل أن رسول اللهﷺ استعمل الضرب مع أي من زوجاته ولا مرة واحدة.

ومما روي عن سيرة النبيﷺ في التاريخ: أن امرأة جاءت إلى النبي بولدها كي ينهاه عن أكل التمر فأوكلهاﷺ إلى الغد، ثم نهاه غداً،وعندما سألته المرأة عن السبب بيّن لهاﷺ أنه كان قد تناول التمر يوم أمس فما أحب أن ينهى أحداً عن شيء هو أتى به.

هذا مع العلم أن رسول اللهﷺ عندما أكل التمر كان في مصلحته خلافاً لولدها.

(١) التحريم ٤
(٢) التحريم ٤
(٣) التحريم ٤

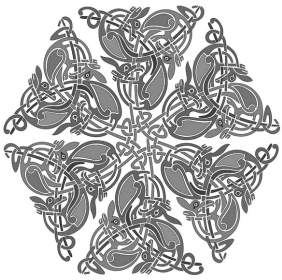

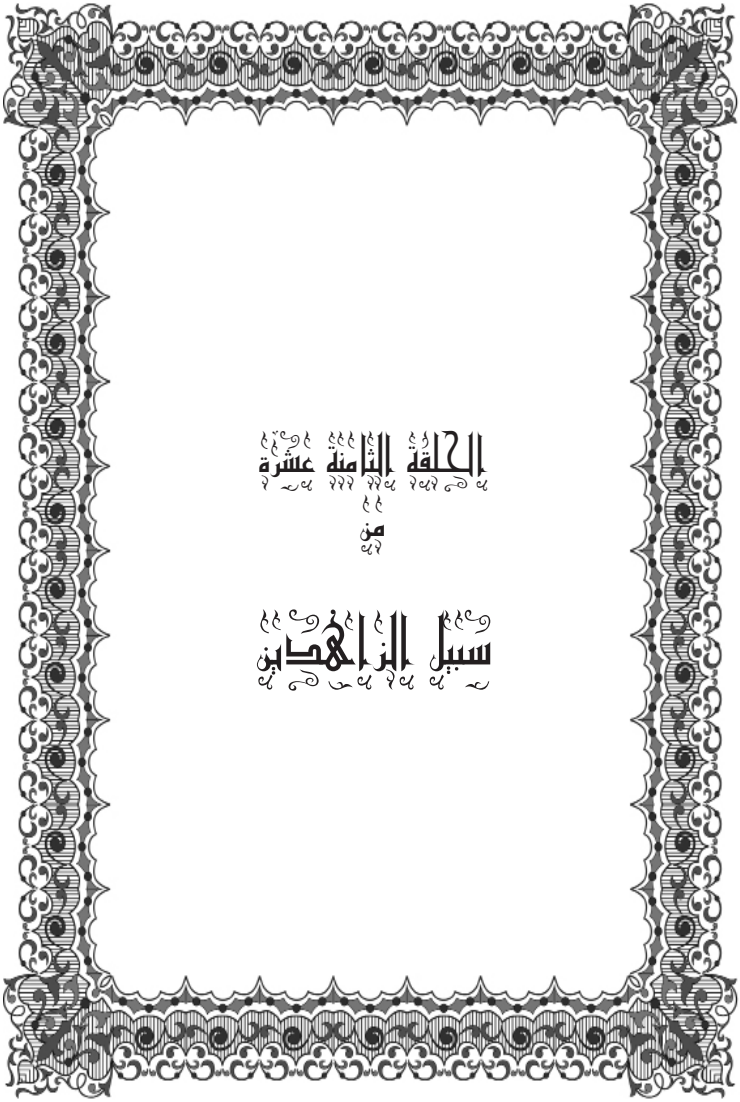

الحلقة الثامنة عشرة

من

سبيل الزاهدين

سر عظمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يراها كاتب مسيحي

ان الملفت للإنتباه أن الكاتب المسيحي أورد اسم السيد المسيح عليه السلام في التسلسل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعندما سئل عن السبب مع كونه رجلاً مسيحياً قال: أنا لم أرتّب التسلسل حسب عقيدتي بل حسب قناعتي بأهمية الأشخاص وإني أرى أن محمداً صلى الله عليه وآله أعظم من السيد المسيح عليه السلام لسببين:

الأول أن محمداً صلى الله عليه وآله وُفقّ لتطبيق دينه في حياته، في حين لم يوفَّق السيد المسيح عليه السلام لذلك «فهم يعتقدون أنه قُتل كما أشار القرآن الكريم إلى اعتقادهم ونفاه».

أما السبب الثاني: فهو أن محمداً صلى الله عليه وآله نفخ في أتباعه روحاً امتدت عبر القرون المتعاقبة كلما ضعف الإسلام في الدنيا كان هناك أشخاص من أتباعه ممن اتصلوا بتلك الروح العظيمة يقومون بتجديد الإسلام. ولعل هذا يتطابق مع ما هو موجود في الأحاديث النبوية من أنه «**قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وآله: يَحْملُ هَذَا الدِّينَ في كُلِّ قَرْن عُدُولٌ يَنْفُون عَنْهُ تَأْويلَ الُمْبْطلينَ وتَحْريفَ الْغَالينَ وانْتحَالَ الْجاهلينَ كَمَا يَنْفي الْكِيرُ خَبَثَ الْحديد**».

وهذه الروح ينبغي أن تكون اليوم فينا نحن، وهذا معنى التأسي الحقّ برسول الله ﷺ. ولا ينبغي للمتأسي برسول الله ﷺ أن يتصرف كما يحلو له وكما تملي عليه شهواته أو كما توجّهه بيئته فيميل يميناً ويساراً، ولا أن يبتدع سلوكاً ما من عنده، بل عليه أن يطبّق سنة رسول الله ﷺ.

«روي أنَّ جَمَاعَةً منَ الصَّحَابَة كَانُوا قَد حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النِّسَاءَ والإفطَارَ بالنَّهَار والنَّوْمَ باللَّيْلِ. فَأَخْبَرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَسُولَ الله ﷺ، فَخَرَجَ إلى أَصْحَابه فَقَال: أ تَرْغَبُونَ عَنِ النِّسَاء؟ إنِّي آتِي النِّسَاءَ وآكُلُ بِالنَّهَارِ وأَنَامُ باللَّيْلِ. فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ منِّي»

إن من يقضي كل نهاره صائماً وكل ليله قائماً أنى سيتمكن من القيام بواجباته الاجتماعية؟ وإذا كان طالب علم فمتى سيدرس؟ لا شك أن التعب سيهدّ مثل هذا الإنسان في النهار فيضطر إلى النوم وترك العمل.

هناك كتب في التاريخ تمجّد بأشخاص منحرفين عن سيرة رسول الله ﷺ وتطرحهم لشباب المسلمين على أنهم القدوة والأمثلة على التأسي برسول الله ﷺ، مع أن أئمة آل البيت عليهم السلام هم خير من يمثل النبي ﷺ ويقتفي أثره وينبغي للمسلمين ولكلّ العالم التنور بسيرتهم والاطلاع على تاريخ حياتهم المباركة.

روى الشيخ الطبرسيُّ في الاحتجاج، عن ثابت البنانيِّ قال:

«كُنْتُ حَاجّاً وجَمَاعَةَ عُبَّاد الْبَصْرَة مثل أَيُّوب السِّجسْتَانيِّ وصَالحٍ الْمُرِّيِّ وعُتْبَةَ العلام وحبيبٍ الْفَارسيِّ ومَالك بن دينارٍ، فَلَمَّا أن دَخلنا مَكَّةَ رَأَينَا الْمَاءَ ضَيْقاً وقَد اشْتَدَّ بالنَّاسِ العَطَشُ لقلَّة الْغَيْثِ، فَفَزِعَ إِلَيْنَا أهل مَكَّةَ والْحُجَّاجُ يَسْأَلُونَا أَن نَسْتَسْقِيَ لَهُم. فَأَتَيْنَا الْكَعْبَةَ وطُفْنَا بِهَا ثُمَّ سَأَلْنَا اللهَ خَاضعينَ مُتَضَرِّعينَ بهَا، فَمُنِعْنَا الإجابَةَ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذَا نَحْنُ بِفَتى قَدْ أَقْبَلَ وقَدْ أَكْرَبَتْهُ أَحْزَانُهُ وأَقْلَقَتْهُ أَشْجَانُهُ، فَطَافَ بِالْكَعْبَةِ أَشْواطاً ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَال: يا مَالكَ بْنَ دينَارٍ ويَا ثَابتُ البنانيُّ ويا أَيُّوبُ السِّجِسْتَانِيُّ ويا صَالِحُ الْمُرِّيُّ ويا عُتْبَةُ الْعلاّمُ ويا حَبيبُ الْفَارسيُّ ويا سَعْدُ ويا عَمْرُو ويا صَالحُ الأعمَى ويا رابعَةُ وياسَعْدَانَةُ ويا جَعْفَرَ بنَ سُلَيْمَان. فَقُلْنَا: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا فَتَى. فَقَال: أ مَا فيكُمْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ الرَّحْمَنُ؟ فَقُلْنَا: يَا فَتَى عَلَيْنَا الدُّعَاءُ وعَلَيْهِ الإجَابَةُ. فَقَال: ابْعُدُوا عَن الْكَعْبَة، فَلَوْ كَانَ فِيكُمْ أَحَدٌ يُحِبُّهُ الرَّحْمَنُ لأجابه. ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَخَرَّ سَاجداً، فَسَمعْتُهُ يَقُولُ في سُجُوده: سَيِّدي بحُبِّكَ لي إلاّ سَقَيْتَهُمُ الْغَيْث. قال: فَمَا اسْتَتَمَّ الْكَلامَ حَتَّى أَتَاهُمُ الْغَيْثُ كَأَفْوَاهِ الْقِرَبِ. فَقُلْتُ: يَا فَتَى مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُحِبُّكَ؟ قَال: لَوْ لَمْ يُحِبَّنِي لَمْ يَسْتَزِرْني، فَلَمَّا اسْتَزَارَنِي عَلمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّنِي، فَسَأَلْتُهُ بِحُبِّهِ لِي فَأَجَابَنِي. ثُمَّ وَلَّى عَنَّا، فسألتُ أهل مَكَّة قُلتُ: مَنْ هَذَا

الْفَتَى؟ قَالُوا: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهم السلام».

أرأيتم كيف ضخّموا أشخاصاً وأسماءً عدّوهم من العبّاد المعروفين – والعبادة جزء من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله فقط – وتركوا مَن جَعلهم الله تعالى ورسوله مناراً للعباد وهم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله؟.

لو عرضت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله على العالم لأقبل عليها الملايين، لأن الناس في الغالب غير معاندين. وأكثر المعاندين لم يكونوا كذلك إلا على أثر غسل الدماغ الذي تعرضوا له بسبب المواضيع المختلفة المدسوسة، ومسؤوليتنا نحن هي تطهير هذه الأدمغة من تلك المطالب.

وضوء السيد البروجردي قدس سره:ـ

لقد أسس آية الله البروجردي رحمه الله مركزاً إسلامياً في هامبورغ في ألمانيا، وبعث مبلّغاً دينياً هناك.

نقل: فطُلب من هذا المبلّغ في هامبورغ أن يعطيهم صورة للسيد البروجردي لعرضها في التلفزيون، ففكر المبلّغ أي صورة ستكون مؤثرة جداً لو عرضت، وانتهى تفكيره إلى أن يعطيهم صورة السيد وهو يتوضأ لأنها ستكون مؤثرة جداً في نفوس مشاهديها، لما تعكس

من خشوع السيد حال تهيئه للقاء الله تعالى في الصلاة.

لا شك أن أفعال الوضوء التي يأتي بها السيد البروجردي لا تختلف عن الأفعال التي يؤديها سائر المتوضئين من المسلمين ممن هم على مذهب أهل البيت عليهم السلام على الأقل، فهي عبارة عن غسل الوجه واليدين ومسح الرأس والرجلين بالكيفية المشروحة في الرسائل الفقهية العملية.

يقول هذا المبلّغ: ما إن عرض هذا الفيلم الذي يصوّر وضوء السيد البروجردي حتى أثار في نفوس المشاهدين روح الحب والولاء، وأسلم في اليوم نفسه عشرة من النصارى ممن شاهدوا الفيلم.

فإذا كان هذا تأثير مشاهدة صورة وضوء السيد البروجردي وهو بمثابة تلميذ تلميذ تلميذ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فكيف بالتأثير الذي تتركه سيرة النبي صلى الله عليه وآله على الناس؟!

فلنتزود بمعرفة السيرة الصحيحة لنبي الإسلام بمقدار ما أوتينا من طاقة، وإمكانات ولنسعَ لتفهيم الآخرين بها، فإنه لو عرضت السيرة الصحيحة لنبي الإسلام على العالم لغيّرت وجهه. وما أسرع تغيّر العالم في هذا الزمان.

ولنستمدّ من تلك الروح المحمدية العظيمة التي أشار إليها المؤلف المسيحي.

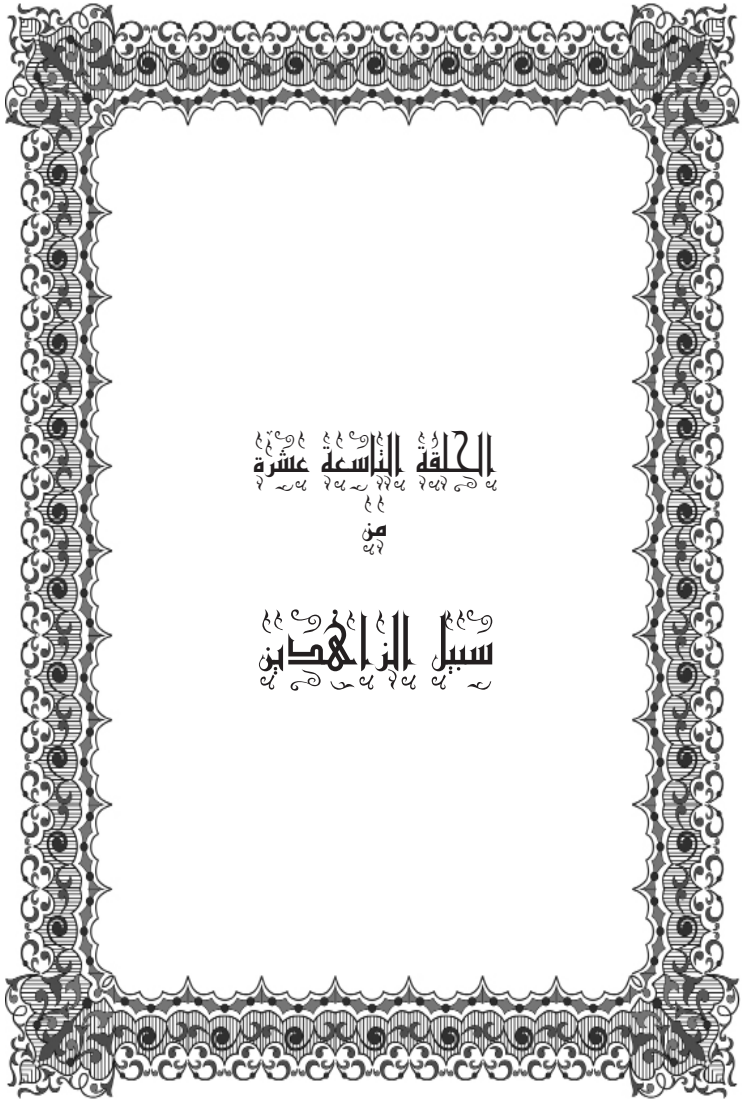

الحلقة التاسعة عشرة

من

سبيل الزاهدين

الإستفراغ

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق:

«**اللهم صلّ على محمد وآله واكفني ما يشغلني الإهتمام به، واستعملني فيما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيامي فيما خلقتني له**».

تحدثنا في الحلقات السابقة عن الفقرتين الأوليتين من هذا المقطع من دعاء الإمام السجاد عليه السلام، ونتحدث في هذه الحلقة عن الفقرة الثالثة وهي قوله عليه السلام: «**واستفرغ أيامي فيما خلقتني له**».

·الاستفراغ والأصل في هذا الباب الطلب أو ما يقع نتيجة الطلب، ويكون معناه يا إلهي أنت تولّ هذا الأمر واكفنيه.

·والاستفراغ مشتق من الإفراغ، فكأن الإمام عليه السلام يقول: اللهم اجعل أيامي مفرغة من كل أمور الدنيا في سبيل ملئِها بما خلقتني له. وهذا تعبير مجازي. فالإمام عليه السلام يشّبه الأيام بالإناء تفرّغه من محتوياته من أجل أن تملأه بما تحب.

·وهذه الفقرة ليست تكراراً للفقرة السابقة «أي قوله عليه السلام: **واستعملني فيما تسألني غداً عنه**» للأدلة التالية:

١. اختلاف الظهور بين الفقرتين.

٢. ظهور واو العطف في الاثنينية،: إذا قيل: جاء زيد وأبو عمرو، فالمتبادر أن شخصين جاءا أحدهما زيد والآخر أبو عمرو، فهذا هو الاستعمال الحقيقي للواو، ولا يقال إن الذي جاء واحد واسمه زيد وكنيته أبو عمرو إلا أن يكون مجازاً وليس استعمالاً حقيقياً.

وهنا أيضاً دعاءان عطف الإمام الثاني على الأول بالواو، فقال عليه السلام: أولاً: استعملني فيما تسألني غداً عنه، ثم عطف فقال: وأستفرغ أيامي فيما خلقتني له، وإذا كان واو العطف يفيد الاثنيّة، أي له ظهور فيها، فالظاهر أن الإمام عليه السلام أراد هنا أمرين، فالفقرة الثالثة ليست تكراراً للثانية.

٣. إن السؤال لا يكون إلا عن الواجبات والمحرمات، أما فيما عداهما فقد يكون هناك عتاب، هذا أولاً، وثانياً: قوله عليه السلام «**ما خلقتني له**» أعم من الواجبات والمحرمات، فيكون معنى هذه الفقرة كالتالي: «يا إلهي أنت خلقتني في هذه الدنيا لهدف ما، ففرغ أيامي له»، فيما يكون معنى الفقرة السابقة: «يإلهي إنك ستسألني يوم القيامة عن أمور، فاجعلني في هذه الدنيا عاملاً لها ملتزماً بها».

إذا كان الإمام عليه السلام يعلّمنا أن نسأل الله تعالى أن يفرّغ أيامنا فيما خلقنا له، فما هو الهدف الذي خلقنا الله من أجله؟ يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾(١)، إذن الهدف من خلقنا عبادة الله تعالى.

ولذلك أعقب الإمام عليه السلام قوله: «**واستعملني فيما تسألني غداً عنه**» **بقوله: «واستفرغ أيامي فيما خلقتني له»**.

أفضل العبادة الإدمان على التفكر في الله عز وجل

روى الكليني رحمه الله في الكافي روى البزنطي أن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته**». وهناك روايات كثيرة بهذا المضمون.

لاشك أن المقصود في الرواية بالتفكر في الله تعالى هو التفكر في صفاته عزوجل، لأن التفكر في ذاته فضلاً عن أنه منهي عنه شرعاً، فإنه لايوصل الى نتيجة ولا يزيد صاحبه إلا ضلالاً، وذلك لأن المحاط لا يمكن أن يحيط بالمحيط كما هو الحال في المسائل المادية، ويمكن تقريب الأمر إلى الذهن بمثال الإناء، فهل يمكن أن يحيط المحيط الداخلي له

(١) الذاريات ٥٦

بمحيطه الخارجي؟ !

وهكذا عبثاً يحاول المخلوق أن يحيط علماً بذات الخالق سبحانه.

إذن المقصود بالتفكر في الله تعالى هو التفكر في صفاته الثبوتية والسلبية وليس التفكر في ذاته، وبتعبير آخر إن المقصود التفكير في عظمته تعالى، وهذا هو التفكر العام فيه سبحانه، أما التفكر في قدرته تعالى، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام.

وهذه الرواية تنسجم مع الروايات الكثيرة التي تقول إنه «لَيسَ الْعبادةُ كَثْرةَ الصِّيام والصَّلاة وإنَّمَا الْعبادةُ الْفكْرُ في اللهَّ تعالى».

لا شك أن للصلاة خاصة ولسائر العبادات عامة مكانتها في الدين، وأن «**الصلاة قربان كل تقي**» و«**الصلاة عمود الدين... إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها**» و«**إن أول ما يُسأل عنه العبد يوم القيامة الصلاة**».

ولاشك – أيضاً – أن الرواية المتقدمة في كون «**الإدمان على التفكر أفضل العبادة**» ناظرة الى العبادات المستحبة إذا حصل بينهما تزاحم، ولا تصل النوبة الى العبادات الواجبة ومنها الصلاة الواجبة بحال.

نعم اذا حصل تزاحم بين أداء صلاة مستحبة- على عظمة الصلاة وأهميتها- والتفكر في الله فالتفكر مقدم لأنه أفضل العبادة «**أي أفضل العبادات المستحبة**».

على أن التفكر لا يستلزم وقتاً كثيراً بل هو بحاجة إلى تركيز والتفات، فإذا كثر الالتفات والتركيز حصلت عند الإنسان ملكة تجعله يشعر بحضور الله تعالى دوماً، تماماً كالملكة الموجودة في الإنسان عندما يكون بين يدي العظماء كالملوك والعلماء، ولذلك ورد في الحديث: «**أشد العبادة الورع**».

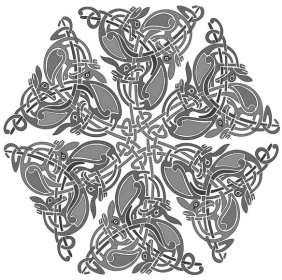

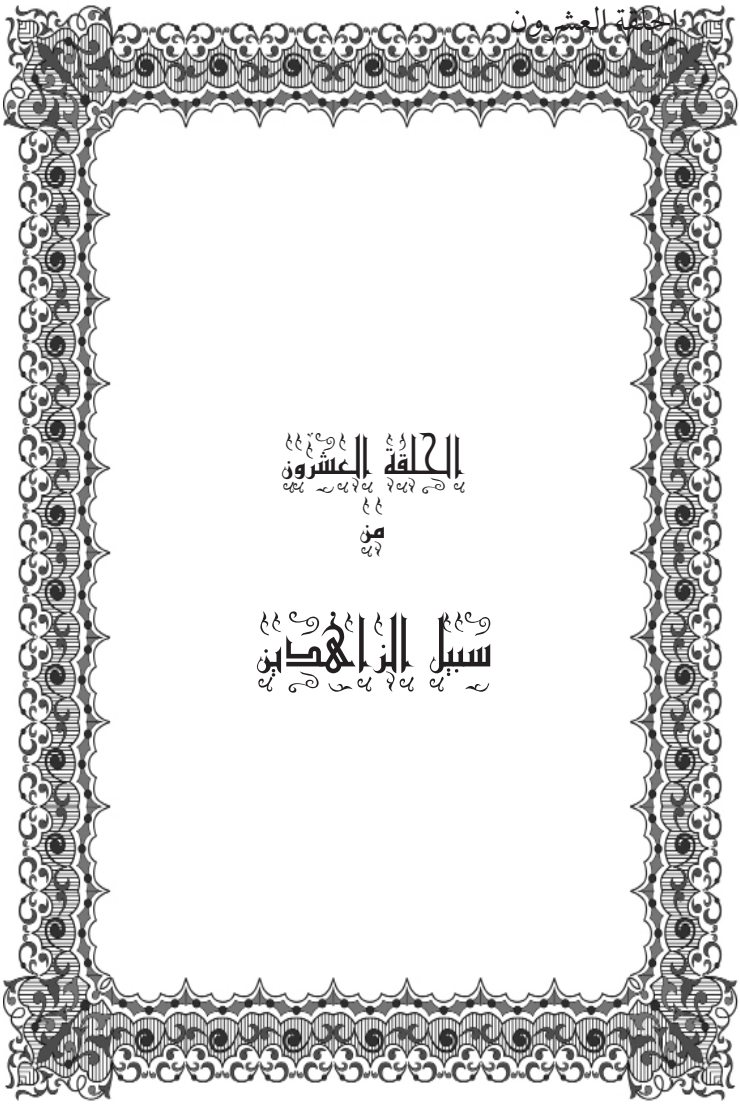

الحلقة العشرون

من

سبيل الزاهدين

إدمان التفكر في الله عز وجل وبناء النفس

ان الإنسان ضعيف ولكنه لا يشعر بضعفه فيتكبر ويتهاون بأحكام الله، فقد يترك ما أمر الله تعالى به أو يأتي ما نهى عنه سبحانه، ولكنه إذا أدمن التفكر في الله وفي قدرته، استحضر ضعف نفسه، وهذه مقدمة أن يجري في طريق الإتيان بالتكاليف الإلهية.

وعلى قدر معرفة الإنسان بالله تعالى وقدرته يكون اهتمامه بأحكام الله والتزامه بها، فالذي لا يبالي بالقيام لأداء فريضة الصبح «إن كان مستيقظاً صلاها وإن لم يستيقظ لم يكترث بالأمر» مثل هذا الإنسان غير متفكر في الله تعالى وقدرته، ولو كان متفكراً في الله لكان يشعر بحضوره ورقابته ولما استهان بأحكامه، وإلا فهل يعقل أن يشعر العبد بحضور مولاه ثم لا يكترث بما أراده منه؟!

إن التفكر في الله عز وجل يؤدي إلى تعزيز الشعور بحضوره تعالى، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تغيّر سلوك الإنسان وحالته.

لو وجّه إلى إنسان عادي سؤال في مجال معيّن- ولنفرض الفقه- أو الطب وكان يحضر مجلسه متخصص في ذلك المجال- كمرجع التقليد

أو الطبيب- فقد يجيب الشخص على السؤال بسرعة إذا لم يكن يعرف الحاضر في المجلس، ولكنه ما إن يعرفه حتى يظهر الأثر على سلوكه فلا يجيب لأنه لا يرى نفسه أهلاً للإجابة على ذلك السؤال مع حضور من هو أعلى مرتبة منه، أو يدقق كثيراً قبل أن يجيب، احتراماً لذلك الإنسان المتخصص وعلمه بعد أن عرف حضوره.

الحالة نفسها تصدق على انضباط الإنسان إذا شعر بحضور الله تعالى، وهذا الشعور وليد الإدمان على التفكر في الله سبحانه وقدرته، إذا كان الفرد يشعر بأن الله تعالى موجود قيّوم وهو حاضر عنده على الدوام، فإنه لا شك سيغيّر وضعه ويدقق في أفعاله وأقواله ويتورع فيها لئلا يصدر منه ما يخالف أوامر الله تعالى، الرقيب عليه.

ومن الامثلة الواقعية التي سنذكرها هي:

نقل أحد الخطباء قال: كنت على المنبر أقرأ المقدمة إذ دخل أستاذي المجلس، فاختلف الموضوع الذي عرضته عن الموضوع الذي أعددته تماماً بسبب تهيّبي من حضور الأستاذ !

كان السيد الوالدﷺ يحضر مجلساً لأحد الخطباء، فجاءه ذلك الخطيب في أحد الأيام - وكنت حاضراً عنده- وقال له: سيدنا أنا

أتشرف بحضورك مجلسي، ولكن أرى من الأفضل أن يتزامن وقت حضوركم مع نهاية المجلس حيث أكون قد دخلت في فصل قراءة التعزية.

لاشك أن الخطيب يُسرّ إذا حضر مرجع التقليد مجلسه، ولكنه يشعر بالتقيد أيضاً، لأنه قد يريد أن ينقل حديثاً أو يفسّر آية، أو يشرح مسألة فقهية أو يفصّل قضية عقائدية، فيشعر بالحرج والإرباك مخافة أن لا يكون كلامه مستدلاً بنحو صحيح.

النعم المادية وسيلة اختبار ومقدمات وجود

لقد خلق الله الجنة لعباده المؤمنين لكي يتنعموا بنعمها المادية والمعنوية، ولكنه سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان في هذه الدنيا من أجل الأكل والشرب وسائر اللذات الدنيوية، وإنما جعل الله تعالى هذه الأمور اختباراً للإنسان ومقدمات وجودية في سبيل تمكنه من الأمور الأخرى التي خلقه الله لها.

فالنعم المادية في الوقت الذي هي وسيلة لاختبار الإنسان ليُعرف هل هو يفرط فيها أو يفرّط، هي مقدمات لا بد من وجودها لكي يستطيع الإنسان العيش في هذه الدنيا وأداء الوظائف الموكلة اليه، فيعبد

الله عز وجل ويتعلم أحكامه ويعلمها الناس، فيدرس ويدرّس ويعظ الناس ويؤلف الكتب ويرتقي المنبر و...

لكن الشيطان يحاول دائماً أن يوقع الإنسان في الإفراط أو التفريط لكي يفشل في الاختبار الإلهي ولا يستفيد من النعم الإلهية كمقدمات وجودية للعبادة أي لا يستفيد منها بالنحو الصحيح، فيرتكب بها المعاصي ويترك الطاعات.

فلننتبه جيداً ولنحذر وساوس الشيطان ومكائده، ونتعامل مع هذه النعم على أنها مقدمات لإيصالنا إلى النعم الأخروية الخالدة التي خلقها الله لعباده المؤمنين، ولنراعِ الدقة في هذا المجال كما نراعيها في مسائلنا الدنيوية، وهذا معنى ما نُقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لأصحابه: «**فالطفوا في حاجتي كما تلطفون في حوائجكم**».

إن اللطف بمعنى الدقة، فكما أن أحدنا يلطف ويدقق في سبيل قضاء حوائجه الدنيوية، فيفكر في أفضل طريق ويسعى في رفع الموانع والعوائق، ويترك أعماله وأشغاله ويتحمل أنواع المشاكل والمشاق في سبيل ذلك، فلنكن كذلك في قضاء حوائج إمامنا والتي هي حوائجنا الأخروية بتعبير آخر.

الفهرس

المقدمة.....(١)

الحلقة الأولى.....(٣)

الصلاة على محمدوآله.....(٥)

الحلقة الثانية.....(١١)

الإيمان.....(١٣)

الحلقة الثالثة.....(٢١)

تعلم علوم أهل البيت عليهم السلام.....(٢٣)

الحلقة الرابعة.....(٢٩)

أحسن الأعمال.....(٣١)

الحلقة الخامسة.....(٣٧)

توبة أحد كتاب بني أمية.....(٣٩)

الحلقة السادسة.....(٤٥)

العمل بالسنة.....(٤٧)

الحلقة السابعة.....(٥٣)

أفضل الأعمال.....(٥٥)

الحلقة الثامنة.....(٦١)

على قدر النية تكون العطية.....(٦٣)

الحلقة التاسعة.....(٦٩)

قضية الإمام الحسين عليه السلام.....(٧١)

الحلقة العاشرة.....(٧٧)

النية.....(٧٩)

الحلقة الحادية عشرة.....(٨٥)

النية أساس العمل.....(٨٧)

الحلقة الثانية عشرة.....(٩١)

شروط النية.....(٩٣)

الحلقة الثالثة عشرة.....(٩٧)

تصحيح اليقين.....(٩٩)

الحلقة الرابعة عشرة.....(١٠٥)

تكملة تصحيح اليقين.....(١٠٧)

الحلقة الخامسة عشرة.....(١١٥)

الصلح.....(١١٧)

الحلقة السادسة عشرة.....(١٢١)

تكملة فضائل النبيﷺ.....(١٢٣)

الحلقة السابعة عشرة.....(١٢٩)

مسؤوليات الإنسان.....(١٣١)

الحلقة الثامنة عشرة.....(١٣٩)

سر عظمة النبي ﷺ.....(١٤١)

الحلقة التاسعة عشرة.....(١٤٧)

الإستفراغ.....(١٤٩)

الحلقة العشرون.....(١٥٥)

إدمان التفكر بالله عزوجل.....(١٥٧)

الفهرس.....(١٦١)